

**تمهيد :**

يعتبر مفهوم القيم الاجتماعية من المفاهيم الأساسية في موضوع دراستنا، لذا وجب علينا تخصيص فصل كامل يتطرق إلى العناصر المكونة له، وبدأنا الفصل بالحديث عن ماهية القيم وأهميتها وخصائصها وأبعادها ثم تحدثنا عن المفهوم الخاص للقيم الاجتماعية. ثم تطرقنا في العنصر الثاني إلى مصادر القيم وطرق اكتسابها وتغييرها والأساليب التي يمكن من خلالها تغيير قيم الفرد والمجتمع ، ثم تطرقنا في العنصر الثالث إلى إشكالية دراسة القيم وذلك من خلال الحديث عن الصعوبة التي يجدها الباحث في دراسة القيم، وهذا راجع إلى الغموض الذي يكتنف مفهوم القيم وكذلك علاقتها بالعلوم الأخرى وتداخل المفاهيم فيما بينها، وفي العنصر الرابع والأخير تناولنا المنظور السوسيولوجي للقيم من خلال توضيح وجهات نظر المنظرين في الاتجاهات الأربعة: الاتجاه الماركسي والوظيفي والتاريخي والثقافي .

## أولاً : سوسيولوجية القيم وفعاليتها

## 1-أهمية القيم :

لقد طرحت قضية سوسيولوجية القيم كأحد المحاور الرئيسية التي انشغل بدراستها العديد من الباحثين الاجتماعيين بحيث تجسد ذلك في كتابات الكثير من علماء الاجتماع المحدثين إيماناً منهم بأنه توجد علاقة وظيفية بين القيم وسائر الظواهر الاجتماعية الأخرى السائدة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع ، حيث ظهرت على مسرح الفكر الاجتماعي عدّة اتجاهات فرعية تنطوي تحت لواء المنظور السوسيولوجي ، محاولة تفسير القيم من حيث نشأتها ومصدرها واكتسابها ، وعلاقتها بالظواهر الأخرى (عادل غزال: 2006 ، ص49). ورغم تناول الفلاسفة لمفهوم القيم إلا أنّ أهمية دراسة القيم لا تقف داخل نطاق الفكر الفلسفي وحده ، بل تتعداه، فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وهي تمسّ العلاقات الإنسانية بكافة صورها ذلك لأنّ القيم ضرورة اجتماعية ولأنّها معايير وأهداف لا بدّ أن نجدها في كلّ المجتمعات المنظّمة سواء أكان متأخراً أو متقدّماً، فهي تتغلغل في الأفراد بشكل اتجاهات ودوافع وتطلّعات، وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري، وفي المواقف التي تتطلّب ارتباط هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض، فالقيم تعبّر عن نفسها في قوانين ولوائح وبرامج التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية (إسماعيل عبد الفتاح: 2001 ، ص10).

فالقيم لها علاقة وطيدة بحياة الإنسان وتميّزه عن غيره من الكائنات ، فلإنسان مهما كان مستواه لا يستطيع أن يعيش بدون قيم وأن يترك البحث عمّا هو أسمى في نظره من القيم الحاصلة له، لأنّ القيمة في نهاية هي كلّ شيء بالنسبة له (الربيع ميمون: 1980 ، ص327) ونجد أنّ القيم ولدراستها أهمية على المستويين الفردي والجماعي :

- على المستوى الفردي : نجد أنّ المرء في حاجة ماسّة في تعامله مع الأشخاص والمواقف والأشياء إلى نسق أو نظام للمعايير والقيم ، ويكون هذا النظام بمثابة موجّهات لسلوكه ،

وطاقات ودوافع لنشاطه، وبديهي أنه إذا غابت القيم أو تضاربت ، فإنّ الإنسان يغترب عن ذاته ، وعن مجتمعه بل يفقد دوافعه للعمل ويقلّ إنتاجه ويضطرب.

- على المستوى الجماعي :فإنّ أيّ تنظيم اجتماعي في حاجة إلى نسق للقيم يشابه تلك الأنساق القيمية الموجودة لدى الأفراد فيضمنه أهدافه ، ومثله العليا التي عليها حياته ونشاطه وعلاقاته، فإذا ما تضاربت القيم أو لم تتّضح فإنّه سرعان ما يحدث الصّراع القيمي الاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيـار، كما أنّ للقيم أهمية خاصة في حياة الفرد والمجتمع ، فيها تتشكّل الثقافة ،وعن طريقها يبدو طريق النّمو والتقدّم ،ومن خلالها تتأكّد الرّوابط والعلاقات الاجتماعية ، فأهمّيتها ترجع إلى أنّها تقف عند الفكر الفلسفي بل تتعداه لأنّها تتغلغل في حياة النّاس ، الأفراد أو الجماعات وترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها، لأنّ القيم ترتبط بدوافع السلوك والآمال والأهداف (إسماعيل عبد الفتاح: 2001، ص11).

ويشكّل مجموع القيم في مجتمع ما منظومة قيمية بغضّ النظر عمّا بينها من تكامل أو تناقص ، هذه المنظومة القيمية تكون جزءا هاما من الإطار المرجعي للسلوك الإنساني ، وبذلك تؤثر في اختيار الأهداف وتحديد الوسائل والأساليب المؤدية إليها ، وهي من جهة أخرى تمثل نسقا من المقاييس التي من خلالها يتم الحكم على ذلك السلوك (مراد زعيبي: 2004، ص184)

كما يمكن عدّ القيم من العوامل المهمة في عملية التوافق وذلك على جميع المستويات كالأسرة والمؤسسة... لأنّ القيم تعتبر محددًا ومقياسًا يقيس به الشخص الأشياء والأفكار من حيث فعليتها في تحقيق أهدافه ومصالحه ، ويتم بواسطة القيم المقارنة والموازنة بين المواقف والتصرّفات (مصطفى الباهي: 1995، ص17)

ويجد الأفراد أنفسهم أمام منظومة من معايير تتعلّق بنوع من التقويم ، وتعتمد على سلّم من القيم قد يختلف عن التقديرات الشخصية للأفراد، الذين يخضعون لها لما بها من سلطة مستمدة من الدّين أو المذهبية السائدة في المجتمع، وهذا ما يفسر لنا امتثال الأفراد لقواعد

الضبط الاجتماعي من جهة ، والتزامهم بأهداف المجتمع من جهة ثانية ، وكيف تدعم هذه القيم طرق وأساليب الاحتفاظ بالمجتمع بحيث يشكل وحدة مترابطة متكاملة ومتميزة (مراد زعيبي:2004، ص185 )

إن نظام القيم السائد في كل مجتمع والقائم في كل بيت وعند كل شخص هو المحرك لسلوك الانسان ،ومتى اضطربت أولويات هذا النظام واختلفت مع أولويات المجتمع وتعمقت الهوة بينهما يصبح الوقوع في السلوك المريض أو في المرض الاجتماعي أمرا محتملا( خليل شكور:1998، ص86 )

وتركز الاهتمام بدراسة القيم بوجه عام في ثلاثة جوانب أساسية هي:

- الاهتمام بدراسة الفروق الفردية في القيم، وذلك في ضوء علاقتها بعدد من المتغيرات كالجنس ، والسّمات الشخصية، والديانة...
- دراسة القيم في علاقتها بالقدرات المعرفية للفرد وذلك باعتبار أنّ القيم عملية تتأثر بإدراك الفرد فهي في أساسها عملية انتقاء ، فاختيار الفرد لموضوع معين وإعطائه أهمية أو قيمة عن موضوع آخر ، يعبر عن عملية إدراكية انتقائية اختيارية.
- مجال اكتساب القيم وارتقائها عبر العمر ، والعوامل المؤثرة أو المرتبطة بذلك باعتباره من المجالات المهمة ، والتي تقدّم لنا خريطة لمعالم هذه القيم وأبعادها ومكوناتها وأشكال تغييرها عبر العمر(عبد اللطيف محمد خليفة:1992،ص15)

ويعمل المجتمع على انتقاء القيم وغرسها في الأفراد من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فالمجتمعات التي تملك درجة عالية من الاستقرار وكفاءة عالية في ممارسة التنشئة الاجتماعية هي التي تستطيع أن توفر منظومة قيمية تميل إلى الاحتفاظ بخصائصها الأساسية على الرغم مما يعترض المجتمع من تغيرات، أمّا غيرها من المجتمعات الأقل استقرارا فإنّها لا توفر ذلك لأفرادها(مراد زعيبي:2004،ص186)

ويستأثر موضوع القيم اهتمامات رجال الفكر نظرا لتفاعل القيم والحضارة والمجتمع من جهة وبينها وبين المثل والسلوك من جهة أخرى ونظرا لأهمية القيم في دعم وتعزيز واستمرارية الوجود الاجتماعي ، بما يتضمنه من منبهات بيئية ومعطيات اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية ووعي فكري وإيديولوجي (إحسان محمد حسن:1990،ص88) كما يمكن من خلال دراسة القيم في مجتمع من المجتمعات تحديد الإيدولوجية أو الفلسفة العامة لهذا المجتمع ، فالقيم ما هي إلا انعكاس لأسلوب الذي يفك الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة(زكرياء عبد العزيز محمد:2002،ص26) وتحفظ القيم للمجتمع تماسكه وتحدّد له أهداف حياته ومثله العليا ومبادئها الثابتة المستقرّة التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة (علي احمد الجمل:1996،ص22).

ومن خلال الارتباط الذي تأسّس بين علم الاجتماع وموضوع القيم ، نشأت الحاجة إلى الاهتمام بدراسة القيم المعبرة عن مستوى أرقى وأسمى من الحياة يتّجه إليه الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية .

ويمكن حصر جملة من الفوائد للقيم من خلال الأمثلة التالية:

- تعمل القيم على ضبط الفرد بشهواته كي لا تتغلب على عقله ، ووجدانه لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرّف في ضوءها وعلى هديها .
- كما يمكن التنبؤ بسلوك صاحبها متى عرف لديه من قيم أو أخلاقيات في المواقف المختلفة وبالتالي يكون التّعامل معه في ضوء التنبؤ بسلوكه (علي احمد الجمل:1996، ص 22 )
- تمثل القيم معنى السلوك ودلالته فمثلا تضحية الفرد بنفسه من أجل المجموع تعبّر عنها قيمة لدى الشخص المتمثلة في أنّ المصلحة العامة أهمّ من المصلحة الخاصة.
- تساعد القيم في فهم الشخصية فعندما يختار الشخص بديلا من البدائل يمكن الحكم على شخصيته من خلال عملية الاختيار.

- تساعد القيم الإنسان في التحرر من الأنا والذاتية، وتجعله يسلك سلوكا أكثر إيجابية نحو مشكلات الآخرين ، مما يساعد على تنمية أواصر المحبة والتعاون بين الأفراد .

- وتخلق القيم نوعا من أنواع الضبط الداخلي والخارجي حيث تمارس القيم نوعا من الضبط الداخلي والخارجي بالنسبة للجماعات، حيث يؤدي الخروج عن إطار هذا الضبط القيمي إلى الاهتزاز في المعايير وتضعف قدرتها على توجيه السلوك، فلا تصبح المفاهيم الإنسانية واضحة المعنى. كما أنّ القيم الإيجابية تقلل نسبة الخطأ إلى حد كبير، وتقلل من التكاليف المفقودة ، فالعمال الذين لديهم قيم إيجابية فحافز العمل وحبّ التنافس، يؤدّون عملهم بكلّ إتقان نظرا لتوفر قيم مدعمة لذلك ، بينما العمال الذين يمتلكون قيما سلبية فإنهم لا يحسنون استخدام الموارد المتاحة بسبب الإهمال وغيرها من القيم السلبية (محمد أكرم العدلوني:2002،ص 42)

- وتبرز كذلك أهمية القيم من خلال الوظائف التي تقدّمها على المستوى الفردي والجماعي وتعمل على توازنهما واستقرارهما وتقوم القيم بما يلي : تماسك النماذج من خلال الروابط التي تجمعها على صعيد العناصر الفاعلة، وكذلك الوحدة النفسية للأشخاص حيث أكد عالم النفس "Albert Jordan" أنها تتحقّق لدى الأشخاص الناضجين وتتوحّد في أسلوب حياتهم ، وتكامل الاجتماعي من خلال اشتراك القيم بين أفراد جماعة معينة .

## 2- خصائص القيم :

تتبع القيم من التفاعل الاجتماعي في المجتمع وفق تصرفات أفرادها التي تحمل عناصر ثقافتهم الخاصة، وهذه القيم تتّصف بالثبات والاستمرار، غير أنّ ذلك نسبي وليس مطلق ، كما أنّه قد يحدث انحراف عن مسار القيم السائدة بدرجات متفاوتة ، إذ تعتبر القيم هدف يسعى الأفراد إلى تحقيقه في أنفسهم وفيمن حولهم، وهنا تنشأ وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان ، وقد يعبر عنها بشكل مباشر ، وقد تكون ضمنية تختفي في طيات السلوك والتصرفات ، وهي تترتّب وفق أفضليتها ومستوى أهميتها وتقديرها .

وللقيم خصائص متعدّدة ومتنوعة، تتعدّد من حيث الزّمان والمكان ومن حيث المضمون ومن الأهمية النسبية لها، ومن أهمّ الخصائص التي تتميز بها القيم :

#### - تتميز القيم بأنّها ذاتية Subjectivité :

وهي تتعلّق بالطبيعة النفسية للإنسان التي تشمل الرّغبات والميول وهذه العوامل غير ثابتة لأنّها تتغيّر من لحظة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر، ففي حياتنا اليومية نعطي للأشياء قيمة إذا كانت تتفق مع رغباتنا، فإذا ما أشبعت هذه الرّغبة لم تعد للأشياء نفس القيمة (فايزة أنور شكري: 2008، ص51)

وتتعلّق بالطبيعة الإنسانيّة والسيكولوجية للإنسان التي تشمل الرغبات والميول والعواطف وغيرها من عوامل نفسية، فالقيمة باعتبارها أحكاما تصدرها على الأشياء تتضمن معاني كثيرة مثل الاهتمام والاعتقاد والرغبة ولكلّ هذه المعاني تعبّر عن عناصر شخصية ذاتية، وتتضمّن القيمة عنصرا عاطفيا إلى جانب العنصر المعرفي السلوكي (إسماعيل عبدالفتاح: 2001، ص21)

#### - تتميز القيم بأنّها موضوعية - Objectivité :

ونعني بموضوعية القيم أنّها خارجة عن ذوات الأفراد وعن تجسّداتهم الفردية وأنّ ذاتية القيم ونسبيتها لا تتعارض مع ضرورتها ، لأنّ هناك بعض القيم الموضوعية التي يجمع عليها أغلب الناس داخل المجتمع ، فلا يجب أن ننظر إلى القيم نظرة ذاتية بل نظرة موضوعية ، هناك بعض القيم الموضوعية التي يجمع الناس عليها منها القوانين العلمية مثل قانون الجاذبية ، نقول عنها أنّها موضوعية ، ولكنها في الوقت ذاته لا توجد إلّا بالنسبة للإنسان.

ويرى بعض الفلاسفة أنّه إذا لجأ الأفراد إلى تقييم الأشياء بواسطة العقل وأجمعوا على الحكم بشأنها فإنّ هذا الحكم يكون موضوعيا، ولكن أين كانت حقيقة هذه الموضوعية فهي ليست كلية لأنّ فعل الإنسان نفسه ليس جامدا ، ولكنه في تطوّر وتقدّم مستمر ، كما أنّ اتفاق الرأي لا يكون إلّا بين الأفراد الذين لهم نفس درجة الثقافة والعلم والحضارة ، ولذلك فالقيم

التي تعترف بها المجتمعات الشرقية لا تعترف بها المجتمعات الغربية ، ومن ثمّ الموضوعية في موضوع القيم الجمالية أو الأخلاقية ليست مطلقة بل يشوبها شيء من النسبية .

ولذلك يجب طرح النظرة الذاتية للقيمة، والاعتداد بدلالاتها الموضوعية ، أي بالقيمة المعتبرة كصفة لصيقة بالموضوع ذاته ، موجودة فيه ولأجله ، من أجل الشخص أي يمسه الموضوع ، فالقيمة في النظرة الموضوعية لا تتأثر بالشخص، بل هي التي تؤثر في الشخص ، وهذه الحالة التأثيرية ليست بسبب القيمة بل هي النتيجة المترتبة عليها .

### - تتميز القيم بالنسبية - Relativité -

تعني نسبية القيم بأنها تختلف من شخص إلى آخر ، ومن مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر ، بل إنها تختلف عن الشخص الواحد حسب رغباته وحاجاته وميوله وكذلك لا يمكن أن نفهم القيمة إلا في المجال السلوكي وفي الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد، ويؤكد بعض الفلاسفة أنّ وجود القيم نسبي ، فإذا زالت الأشياء وانعدم الأشخاص زالت القيم وانعدمت، حتى عملية تفضيل بعض القيم على الأخرى لا معنى لها إلا بالنسبة للأفراد، ومن هنا كانت القيم وقتية وغير دائمة (فايزة أنور شكري : 2008 ، ص52) ويمكن تفصيلها كالتالي:

#### أ- النسبية المكانية للقيم:

فلكلّ ثقافة معاييرها الخاصة بها وأنّ القيم ليست واحدة أو عامة في جميع المجتمعات البشرية وإنما هي نسبية تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية ، ونماذجها الثقافية والسياسية والدينية.

#### ب- النسبية الزمانية للقيم:

إنّها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطوّر وتغيّر ، وهي في تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ، كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه .



## ج- القيم والأصول التحديثية:

أي يمكن أن تنتقل من نخبة مجتمع إلى نخبة مجتمع آخر نقلا عن ايدولوجيا أو ثقافيا أو تربويا أو إعلاميا أو تكنولوجيا أو تدريبيا يتيح للنخبة القيادية أن تسبق المجتمع الذي تنتمي إليه سبقا هائلا في استساغته القيم والأصول التحديثية.

وعلى الرغم من أننا نكتسب القيم خلال عملية التعليم والتنشئة الاجتماعية منذ الطفولة المبكرة، إلا أنّ هذه القيم لا تظل ثابتة مطلقة ولذلك فهي تتسم بالنسبية.

## -تترتب القيم فيما بينها ترتيبا هرميا:

يعني أن بعض القيم تسيطر على غيرها أو تخضع لها، فنجد أن الفرد يحاول أن يحقق قيمه جميعا، ولكن إذا حدث تعارض بينهما فإن بعضها يخضع للبعض الآخر وفقا لترتيب خاص به فهناك قيمة لها الأولوية في حياة الفرد عن باقي القيم، وهذا الترتيب يتم من خلال:

- إن فكرة ترتيب القيم سواء أكانت قيمة فردية أو جماعية ترتيبا هرميا في سلم القيم فكرة مبسطة كل التبسيط بالنسبة للحقيقة والواقع .

- إن القيم في سلم القيم لا تتخذ مرتبة ثابتة جامدة لا تتغير، بل ترتفع وتنخفض، وتعلو وتهبط وتتبادل المراتب والدرجات فيما بينها تبعا لظروف الفرد وأحواله ورغباته واتجاهاته.

## -تتصف القيم بالدينامية:

أي القابلية للتغير الاجتماعي ولكن قد يكون التغير سريعا، كما في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وقد يكون بطيئا جدا كما في المجتمعات البدائية، والثبات النسبي للقيم يعني عدم قابليتها للتغير .

## -يمكن النظر للقيم على أنها ظاهرة اجتماعية:

أي لها صفة الظاهرة الاجتماعية وتؤدي إلى تحقيق وظائف معينة في المجتمع، ويمكن قياس القيم ودراستها باستخدام أساليب عديدة منها تحليل المضمون.

## -يمكن النظر إلى خصائص القيم من خلال أنها عملية قابلة للترشيد : فترشيد القيم يتطلب

تفاهم ومعيشة وممارسة هذه القيم والرجوع بها إلى جذورها الثقافية والوقوف على وظائفها

الاجتماعية، فالقيم جزء من التراث الاجتماعي، وتأتي عملية ترشيد القيم الاجتماعية كأحد الوظائف الأساسية للإعلام والتربية، لأنّ الهدف الرئيسي للعملية الإعلامية هو العمل على تغيير اتجاهات الأفراد والجماعات بالإضافة إلى نقل اتجاهات وأفكار جديدة إليهم ( إسماعيل عبد الفتاح: 2001، ص ص 21-22 )

-كثرة القيم ووحدها:

يرجع تعدد القيم إلى كثرة حاجات الطبيعة الإنسانية، فوجود القيم الاقتصادية والأخلاقية والفنية والدينية... هو استجابة لحاجات هذه الطبيعة وميولها العاطفية والاجتماعية، ويرى بعض علماء الاجتماع أنّ المجتمعات الأولى كانت تخلط القيم بعضها ببعض، ولم يحدث التمييز بين الأنواع المختلفة للقيم إلاّ مع تطوّر وتقدّم هذه المجتمعات، لكن على الرغم من تنوع القيم وكثرتها، فإنّ هناك انسجاماً بينها وقد تنشأ خلافات بين القيم من حيث مادتها، أو من حيث صورتها فمن الممكن أن نفترض انسجاماً بينها، ولذا يرى بعض الفلاسفة أنّ اتحاد القيم إنّما يرجع إلى أنّ لها مصدراً واحداً هو القيمة المطلقة التي تفيض بكلّ القيم

الأخرى (فايزة أنور شكري: 2008، ص 54 )

ويمكن تلخيص خصائص القيم:

-تعتبر القيم لبّ الثقافة لأيّ مجتمع، بحيث أنّها تمثل الرّموز الثقافية التي تحدّد ما مرغوب فيه وما مرغوب عنه.

-تتميز القيم في المجتمع بأنّها متوارثة من جيل لآخر عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية.

-إنّها على صلة وثيقة بممارسات وسلوكيات الإنسان في مختلف المواقف .

-تتميّز القيم بأنّها عامة أي موجودة لدى كافة المجتمعات.

-تكون القيمة مقبولة من طرف الفرد لأنّها مكتسبة من خلال الجماعة التي ينتمي إليها

ويتفاعل معها. (صونية براهيمية: 2006، ص 108

3- تصنيف القيم :

يثير البحث الاجتماعي لموضوع القيم أهمية طرح مسألة تصنيف القيم ، و قد كان للاختلافات الجوهرية في تحديد مفهوم القيم و تفسير طبيعتها انعكاس أيضا على المهتمين بدراستها عند محاولة تصنيفها، فهناك من يرى أنه من العسير وضع تصنيف محدد للقيم ، و هذا يعود للفشل في توضيح الاختلافات الموجودة بين مختلف أنماط القيم نظرا للتعقيدات المتضمنة في مفهومها.

في حين أن البعض الآخر تجنب تصنيفها لعدم التمكن من الإحاطة بكل الأنماط القديمة التي يمثلها الأفراد و المجتمع حيث يقول "سورلي" **Surly**: « من المستحيل أن تكون هناك قاعدة يمكن على أساسها تحديد كل أنواع القيم ». (عادل غزال: 2006-2007، ص40) هناك من العلماء من صنف القيم وفقا للأشياء موضوع البحث أو وفقا لطبيعة المنفعة أو عن طريق العلاقة بين الممثل و المستفيد، أو وفقا للعلاقة التي تضيفها القيم نفسها على الآخرين، و منه يبرز عدم تساوي القيم في الأهمية أي أن لها درجات مختلفة من التأثير في الفعل، و بالتالي فهي تقع في تركيبات هرمية، و هو ما يجعل تصنيفها يخضع لطرق مختلفة تعكس كل منها أهمية خاصة لبعض الصفات أو الجوانب القيمية.

فهناك من العلماء من قدم تصنيفا للقيم استنادا إلى طبيعتها و خصائصها كتصنيف "جوليتلي" **Golightly**. الذي ميز بين القيم الأساسية، و القيم الفرعية. و تصنيف " كيرة لوريس" **C.Luris** حيث صنف القيم إلى جوهرية و طارئة. أما " klackhon" فقد أشار إلى وجود قيم عامة في المجتمع ككل، و قيم خاصة لجماعات اجتماعية معينة، و هذا التصنيف يستند إلى معيار درجة انتشار القيمة في المجتمع . (حميد خروف : 1998، ص 135).

هذا و قد صنفها أيضا " Lamont" إلى قيم مجردة و قيم ملموسة. أو قيم فكرية و قيم مادية نفعية ، كما تمّ تصنيف القيم استنادا إلى اتجاهها المرتبط بالنمط البنائي للمجتمع كما فعل "روبرت فيلد" **R.Red Field** " عندما ميز القيم على أساس نوع المجتمع الشعبي القديم، أين تسود القيم التقليدية المحافظة، و المجتمع الحضري الذي تسوده القيم العقلية

العلمانية، كما يوجد هناك من العلماء من صنف القيم بناء على وظائفها الاجتماعية، أي ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معيّن كما فعل " إميل دوركايم e. Durkheim " و " ريدر D.Reder " و غيرها من أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع (عادل غزال: 2006-2007، ص40 )

وترى جماعة kornai لدراسة القيم أنّ مفهوم القيم أصبح نقلة تقابل مختلف العلوم الاجتماعية المحدودة التخصص، كما أصبح أيضا مفتاحا لمفهوم التكامل في الدراسات الإنسانية، فمفهوم القيم يعمل كقنطرة أو حلقة اتصال تربط كثير من مختلف الدراسات المتخصصة بعضها ببعض، فهو يربط دراسة علم النفس التجريبي عن الإدراك بدراسة التحليل الايدلوجي للسياسية كما يربط دراسة الميزانية في الاقتصاد بالنظرة الجمالية وفلسفة اللغة وكذلك يربط أدب اللغة بثورات الشعوب .

وبالرغم من تعدّد تفسيرات القيم فإنه يمكن أن يتمّ تقسيمها على النحو التالي:

#### - من حيث نوعية القيم :

هناك نوعان من القواعد الإنسانية المثالية فهناك القواعد المبنية على القيم الفردية، وهذه هي قواعد الأخلاق، والقواعد المبنية القيم الاجتماعية، وهذه هي قواعد القانون، وإذا كان لبعض الأفعال والأشياء قيمة فردية بحتة، وللبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية بحتة، فإنه لبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية وفردية معا، ولهذا اتفقت قواعد القانون وقواعد الأخلاق في بعض الأحيان.

#### - قيم الشباب وقيم الكبار:

وجميع المجتمعات تعرف بدرجات متفاوتة، ظاهرة الاختلاف القيمي بين الأجيال، وتعاني غالبية الدول حديثة الاستقلال من انقطاع ثقافي حاد بين الأجيال، فمنذ الاستقلال شهدت هذه الدول تحولا اجتماعيا، ومحاولات ترمي إلى إحلال ثقافة جديدة، محل الثقافة التقليدية، وفي العادة يميل كبار السن إلى رفض القيم الجديدة لتعارضها مع القيم المؤسّلة في نفوسهم، التي ترى فيها سبيلا إلى الخروج من إطار قيم الكبار، والصراع القيمي بين الشباب والكبار

تستهدف التنشئة وتوجيه دفة الصراع لصالح المجتمع لزيادة وحدة الوعي السياسي والاجتماعي بين أفراد المجتمع وبالتالي تحقيق القيم المستهدفة.

#### -التفرقة بين القيم السلبية والإيجابية:

إنّ التقويم السلبي والإيجابي يتحدّد على أساس إطار المرجع الذي يكونه الفرد، كما أنّ التربية هي التي تؤدّي إلى تكوين إطار مرجعي معين، فإذا نشأ الفرد في بيئة محافظة كان له إطار مرجعي يختلف عن الإطار المرجعي للفرد الذي ينشأ في بيئة متحررة، ونلاحظ أنّ البيئة والمجتمع والثقافة السائدة هي مصادر تعلم الفرد من مبدأ حياته، فيتعلم منها كيف يقوم الأشياء وكيف يصدر الأحكام على الأعمال والسلوك (عبد الفتاح إسماعيل: 2001، ص 29-30)

#### 4- مفهوم القيم الاجتماعية :

##### -تعريف القيم :

يمكن تحديد مفهوم القيم من خلال ثلاثة نماذج يسعى كل نموذج لإلقاء الضوء على جانب من جوانب هذا المفهوم، وهذه النماذج كما يلي:

##### -النموذج الأول: التعريفات ذات الموجهات الفلسفية والثقافية

فقد أخذ بعض العلماء القيمة على أنها شيء ذا أهمية أو رغبة للذات الإنسانية "Fipark و piers" عرفّ القيمة على أنها شيء قيمته قابلة للتقدير (بيومي: 2002، ص 107)

ومن نفس المنظور الفلسفي يعرف "Henrie" القيمة بأنها: "أي شيء نرى فيه الخير مثل الحب، الشفقة، الهدوء، القناعة، المرح، الأمانة" أمّا "Dod" فقد ساوى القيمة بالمرغوب فيه فقال إنّ القيمة هي "أي شيء مرغوب فيه أو مختار من شخص ما في وقت ما، ذلك لأنّ القيم هي التي تحدّد لنا ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه، وأنّها مستويات قيمية نحكم من خلالها على كل ما حولنا (مراد زعيبي: 2004، ص 185)

ومن الكتاب الذين يأخذون بالموجهات الثقافية نجد على سبيل المثال تعريف "filsom" الذي يعرف القيمة "على أنها نمط أو موقف أو جانب من السلوك الإنساني أو مجتمع أو ثقافة أو بيئة طبيعية أو العلاقات المتبادلة التي تمارس من شخص أو أكثر كما لو كانت غاية في حد ذاتها، إنها شيء يحاول الناس حمايته والاستزادة منه والحصول عليه ويشعرون بالسعادة ظاهريا، عندما ينجحون في ذلك (محمد احمد بيومي: 2002، ص 107)

-النموذج الثاني: التعريفات ذات الموجهات السلوكية

ف نجد مثلا "توماس Thomas" و"زنانيكي Zenanicky" إنهما عرفا القيم بأنها: أي شيء له محتوى من السهل الوصول إليه، وله معنى لأعضاء الجماعة، والقيمة الاجتماعية هي أي مدلول له محتوى امبريقي من السهل الوصول إليه بالنسبة لأعضاء الجماعة وله معنى ليصبح من أجله موضوع للنشاط (مصطفى الباهي: 1995-1996، ص 16)

وتعمل القيم في المجتمعات بوصفها إطارا مرجعيا مشتركا في المواقف المتنوعة بحيث توفّق بين الاتجاهات المختلفة في نظام متكامل مما يخلق مفهوم "الواقع الاجتماعي" الذي يمكن من خلاله الحكم على السلوك (محمد أكرم العدلوني: 2002، ص 38-39)

ومن ناحية أخرى يعرف "روز Rose" القيم بأنها: "اتجاه يعتقد بواسطة الفرد والجماعة نحو موضوع مادي أو غير مادي، حقيقي أو خيالي مثل هذا الشيء قدر على أنه يستحق الاختيار ولهذا فإن علاقته بالدين يكون للقيمة صفة الأمر أو الواجب (محمد احمد بيومي: 2002، ص 101)

وفي هذا السياق يمكن القول أنّ القيم تلزم هؤلاء الذين ينتمون إليها، ولكن يقتضي عدم الاستنتاج من ذلك أنّ القيم هي مبادئ أكيدة وصریحة وواضحة المعنى، يمكن انطلاقا منها استنتاج ترتيبات معيارية وخاصة (ريمون بودون: 1986، ص 452)

وهناك من يرى القيمة مكافئة لإرضاء الرغبات والحاجات حيث يعرف "واران warren" مثلا القيم بأنها "القدرة على إرضاء رغبة إنسانية متصلة بأي موضوع أو فكرة أو محتوى تجربة" وقد ذهب "كار" في نفس الاتجاه فقال: "القيمة هي التقدير الذي نضفيه

على الأشياء ذات القيمة والقدرة على إرضاء الرغبات (مصطفى الباهي : 1995-1996  
ص، 16 )

والملاحظ من هذه التعريفات السيكولوجية أنّ القيم اختزلت إلى مستوى التفضيلات "ومن الصحيح تماما أنّ القيم لا تختزل إلى أفضليات فردية، بها تنشأ عن ذلك نقاشات ونزاعات أو تسويات بين تنوع من الآراء ووجهات النظر (ريمون بودون: 1986، ص452 )  
إنّ القيم لا تختزل إلى أفضليات فردية بما أنّها تنشأ من نقاشات ونزاعات أو تسويات بين تنوع من الآراء ووجهات النظر وأنّها تلزم هؤلاء الذين ينتمون إليها، ولكن يقتضي عدم الاستنتاج من ذلك أنّ القيم هي مبادئ أكيدة وصریحة وواضحة، يمكننا انطلاقاً منها استنتاج ترتيبات معيارية خاصة، فضلاً عن ذلك أنّها تتكون في محيط متعدّد الأبعاد فإنّها تظهر دائماً مركبة (فرانسوا بوريكو: 1986، ص452 )

ويعرفها "وليم روبن William Roben" في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية بأنّها إدراك للمرغوب فيه وسلوك مختار، ويرجع مصطلح القيم إلى الفوائد والأفضليات والواجبات والالتزامات الأخلاقية والاحتياجات، فالقيم توجد في نواحي متنوعة من السلوك، فمصطلح القيم يستخدم في معنيين منفصلين، فقد يشير إلى التقييم المحدّد لأيّ شيئاً و موضوع يتمّ تقديره أو تقييمه، والمعنى الثاني يعود بالقيمة إلى المعايير أو المستويات التي يتم عن طريقها التقييم، فالقيمة كمعيار للتقييم تصبح هامة جدّاً في الأغراض المختلفة للتحليل العلمي والاجتماعي (إسماعيل عبد الفتاح : 2001، ص13)

ومن جهة أخرى يشير " كرين اونز Carine Onze": إنّ القيم هي أفكار معيارية توجّه السلوك وتزوده بمعايير خارجية وداخلية على نحو ما يكافح الناس من أجله وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي (سعيد بومعينة: 2005-2006، ص150 )

النموذج الثالث: التعريفات ذات الموجهات السوسولوجية

لقد عرفت القيم في هذا الاتجاه من ثلاثة زوايا، موجهات الفعل الاجتماعي، التعريف الإجرائي، والفعل كتعبير عن القيمة، فموجهات القيمة عند " بارسونز Barsonze" تشير إلى

تلك الجوانب من موجّهات الفعل التي تلزمه بالمحافظة على معايير معينة ، ومقاييس ومعايير للاختيار حينما يكون في موقف طارئ يسمح له بالاختيار وحين يكون الفاعل مجبرا على الاختيار فإنّ موجّهات القيمة قد تلزمه بمعايير معينة تساعده على اختياره (محمد احمد بيومي: 2002 ، ص ص 111-112)

وفي كتابه "النسق الاجتماعي عرف " بارسونز" القيمة بأنّها "عصر في النسق الرمزي مقبول من المجتمع ، ويؤدي وظيفته باعتباره معيارا أو قاعدة للاختيار بين مقابلات التوجيه المنظمة والمتيسرة للمرء في الموقف (محمد سعيد فرح: 1998 ، ص 396 )

والوظيفة الرئيسية لنسق القيمة عند "بارسونز" -هي تكوين اتجاهات الاختيار في مشكلة الفعل ، هذه الوظيفة أعاد النظر فيها " بارسونز" حيث كان من قبل مهتما بالقيم كموجّهات لفعل الفاعل وأصبح مهتما بتأثير القيم على النسق الاجتماعي ككل فالقيم بالنسبة له هي النماذج المعيارية معرفة في أفاظ عامة ، وقد شرح "كلوكهون" كيف اكتشف القيم بقوله "إجرائيا يلاحظ الباحث أنواعا معينة من السلوك النمطي ، فالباحث لا يستطيع أن يفسّر هذه الانتظامات إلاّ إذا افترض جوانبا معينة للعمليات التي تحدّد الأفعال المتناسكة الخاصة بالقيمة "وحاول " موريز moorize" تجنّب تعريفا واضحا للقيمة وذلك باستخدامه تعريفا إجرائيا ، فإنه يعتقد إمكانية التمييز بين هذه الاستخدامات المختلفة للفظه القيمة :القيم الفاعلة التي تشير إلى القيم المدركة التي تشير إلى الاختيارات المتوقعة وأخيرا القيم الشبئية ، وهي تلك الأشياء المفضلة في الواقع سواء أدركت الذات أنّها مفضلة أم لا ، هذه الاستخدامات الثلاثة للقيم المشتركة -في رأي "موريز" في جانب من التوجيه يتفق مع مفهوم التفضيل ، وهكذا فإنّ القيمة بالنسبة لهذا التعريف الإجرائي ربّما تشير إلى المفضل أو ما هو مدرك على أنّه مفضل أو المفضل فعلا (محمد أحمد بيومي: 2002 ، ص ص 112-113)

ويستخدم بعض الكتّاب الأفعال على أنّها مؤشّرات للقيم فيذهب "جورج لنديرج goerge Lindberg" إلى أنّ الشيء له قيمة أو هو قيمة عندما يسلك الناس نحوه كما لو أنّهم يحفظونه أو يزيّدونه من ملكيتهم له (مصطفى الباهي : 1995-1996 ، ص 16 )



ولكن القيم ليست شيئاً أكثر من أفضليات تظهر في وضع مؤسّساتي وتساهم بطريقة تكونها في تنظيم هذا الوضع، كما يقتضي مسبقاً توضيح طبيعة هذه الأفضليات والتساؤل بصورة خاصة في أي معنى يمكننا القول أنّها موضوعية (ريمون بودون: 1986، ص 451 ) ويمكن أن نربط بين التعاريف السيكلوجية والسوسولوجية من خلال نظرة علم النفس الاجتماعي للقيم، حيث أنّ كلمة القيمة تستخدم في علم النفس الاجتماعي للدلالة على ما يستخدم كهدف عام في مجموعة شاملة لعدد من الاتجاهات، وهذا يعني أنّ القيم تقتصر على الأهداف التي تكون موضوعات لاتّجاهات شاملة (محمد أكرم العد لوني: 2002، ص 38) ولقد ميّز "شاينChaine" بين قيم أساسية وقيم شكلية، حيث يعتبر القيم الأساسية تلك التي ترتبط ببذل العامل واستعداده لإنجاز العمل في وقت محدّد والالتزام بقواعد وتعليمات النظام، وقيم شكلية أو محيطية ترتبط بسلوكيات الفرد خارج العمل كتفضيل استهلاك منتج الشركة التي يعمل بها دون سواها.

أمّا "فوزية نياب" فتعرّف القيم على أنّها: الحكم الذي يصدره الإنسان على شيئاً ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدّد المرغوب فيه وغير المرغوب، وهناك من يتحدّث عن القيم كتقديرات لمعاني وأهمية الأشياء والأعمال والعلاقات اللازمة لإشباع حاجيات الفرد الفسيولوجية والاجتماعية، كما أنّها اتّجاهات تقويمية أو تقويمية لاتّجاهات متقاربة (إسماعيل عبد الفتاح: 2001، ص 15)

ويرى "ويبر Weber" أنّ تطور الرأسمالية في البلدان الغربية يرجع إلى بعض القيم البروتستانتية، وأكد أنّ القيم الدينية تمارس نوعاً من التأثير المستقل على مجرى التغيير الاجتماعي، وأوضح أنّ كل نسق قيمي للدين أو الأخلاق، لا يمكن أن يستمد أصوله وجذوره من اعتبارات اقتصادية أو سيكلوجية وإنّما يستمد تلك الجذور من مصادر دينية بحتة (سعيد بومعيزة: 2005-2006، ص 143 )

وتعرف بأنّها الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معيّنة فالشجاعة والاحتمال والإيثار والمهارة الفنية وضبط النفس يمكن اعتبارها كلّ على حدا أو

في مجموعها بالصفات المرغوبة في كل ثقافة، ولكن القيم من ناحية أخرى ليست صفات مجردة فحسب، بل إنها في الواقع أنماط سلوكية تعبر عن هذه القيم (كمال بوقرة: 2006 ص، 88 )

ويمكن تحديد مفهوم القيم: "هي عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالترفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات والأشياء وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثل الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف (زكرياء عبد العزيز محمد: 2002 ، ص36 )

لقد حاول العديد من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا تعريف القيم الاجتماعية، وعلى الرغم من اختلاف التعريفات إلا أن هناك شبه اتفاق على الطبيعة العامة للقيم الاجتماعية باعتبارها غايات أو أهداف نهائية يسعى المجتمع إلى تحقيقها، فالقيم الاجتماعية لا تعبر عما هو كائن، بقدر ما تعبر عما يجب أن يكون، ويقول آخر فإنها تعبر عن المتطلبات أو الأوامر الأخلاقية (نبيل محمد توفيق السمالوطي: 1985 ، ص 213 )

ومن التعاريف المقدمة لمفهوم القيم الاجتماعية نجد:

القيم الاجتماعية هي القيم السائدة في المجتمع، وهي خلاصة تفاعلات القيم المتواجدة والتي تصبح عامة وشائعة في المجتمع (معهد علم النفس والتربية: 1992 ، ص 215 )

ويعرف "جيندز Gindze" القيم الاجتماعية بأنها: تقديرات اجتماعية لضروب معينة من الرضا، والعلاقات و النشاطات، وأشكال التنظيم الاجتماعي ( نيقولا تيماشيف: 1998، ص137)

ويرى "Perry": "أنّ القيم الاجتماعية هي جوانب الاهتمام داخل المجتمع، فالشيء موضع الاهتمام لدى الإنسان أو الجماعة هو الشيء الذي تكون له قيمة لدى هذا الإنسان أو تلك الجماعة (احمد لكحل: 2002 ، ص55)

وتعرّف القيم الاجتماعية بأنها نوع من المعايير السلوكية والأخلاقية التي ترتبط بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع والمرجعية الحضارية والتاريخية التي يمرّ بها والظروف الموضوعية والذاتية المحيطة في ظواهره وعملياته الاجتماعية (إحسان محمد حسن: 1990، ص 89)

كما يعرفها "Thurndik" من جهته أنها: "التفضيلات أو الأشياء المفضلة لدى الإنسان أو الجماعة" وهي "التعبير عن المبادئ العامة بواسطة مبدأ المفضلة والمعتقدات الجماعية" (ريمون بودون: 2005، ص 243)

أمّا وجهة نظر "Nilson" فهي تتضمّن الجوانب الأربعة التالية:

- الأهداف التي يسعى أعضاء المجتمع لتحقيقها.
- الوسائل المشروعة لبلوغ هذه الأهداف.
- نظام الجزاءات الذي يفرض على الناس احترام الأهداف وتلك الوسائل.
- تنظيم هذه الأهداف والوسائل والجزاءات حتى يتحقّق التوازن بينهما (أحمد لكحل: 2002، ص 56)

وفي تعريف آخر "هي الخيرية وعمل الخير، تدعو للحب وترى أنه الصورة الوحيدة المناسبة للعلاقات بين الناس، وهي تهدف إلى صهر الفرد في المجموع وتجريده من الأنانية وحبّ الذات، وخلق روح المشاركة والعمل الجماعي (محمد أكرم العدلوني: 2002، ص 40) والقيم الاجتماعية هي الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس، مجتمعين أو موزعين وتنبت القيم الاجتماعية عادة عن طريق الرأي الجمعي لهذه الجماعة، أي أنّ هذه القيم لا يمكن أن تفرض من الخارج على الجماعة فرضاً، ولكنها تتولّد من الظروف المعيشية التي تحياها وتكون مقبولة ومعترف بها عندهم، كما ظواهر الوعي الاجتماعي، التي تتمثل في الأفكار والقيم، عن طريقها يعبر الناس عن اهتمامهم في أسلوب إيديولوجي معيّن، وهذه الأفكار هي في الواقع مثل عليا أو قيم من القيم المعنوية (إسماعيل عبد الفتاح: 2001، ص 15)

وبقدر وحدة القيم الاجتماعية في المجتمع يكون تماسكه ،وبقدر التفاوت والتباين في القيم يكون تفكك المجتمع ،وينجم الصّراع القيمي في المجتمع عن التباعد والانفصال بين فئات المجتمع بالنسبة للمواقف الهامة في الحياة ،فهي ضرورة للبناء المجتمع وتماسكه.

والقيم الاجتماعية كثيرة ومتنوعة ومنها على سبيل المثال :احترام الأسرة،طاعة الوالدين،التضامن ،حسن الجوار،التّواضع،التّواصل الاجتماعي...".

### 5- القيم وعلاقتها بالمفاهيم الأخرى

من أجل الوصول إلى مفهوم واضح للقيم يجب تبيان الحدود الفاصلة بين مفهوم القيم والقيم الأخرى.

#### أ- القيمة والحاجة:

إنّ الارتباط بين القيم والحاجات يطمس الخط الفاصل بين الإنسان وسائر الحيوانات الأخرى فالإنسان هو الوحيد الذي يمكن القول أنه يحتضن قيما معينة توجه سلوكه، لأنّ القيم هي التعبيرات المعرفية للحاجات لا على المستوى الفردي فحسب وإنما على المستوى

الجمعي والنظامي (نورهان منير حسن فهمي:1999 ، ص 99 )

كما يتّصور البعض القيمة على أنّ لها أساس بيولوجي فهي تقوم على الحاجات الأساسية ، التي تأسّس للكائن الحي،وتحدّد له نسق اختياراته ،فهي بمثابة قيم بيولوجية أولية تتحوّل فيما بعد ومع نمو الفرد إلى قيم اجتماعية ،وتنقسم القيم إلى نوعين :قيم أولية تتعلّق بالحاجات البيولوجية وقيم ثانوية تختصّ بالجانب الأخلاقي والاجتماعي (عبد الطيف محمد

خليفة:1992،36ص ) .

وفي المقابل نجد بعض العلماء أمثال "Roukitch" يرى أنّ هناك اختلاف بين المفهومين ، فالقيم من وجهة نظره عبارة عن تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع،وأنّ الإنسان هو الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات ،وعلى ضوء ذلك يميّز بينهما على أساس أنّ الحاجات توجد لدى جميع الكائنات في حين أنّ القيم يقتصر وجودها على الإنسان (مصطفى

الباهي : 1995-1996 ، ص12)

**ب- القيمة والدافع:**

هناك خطأ شائع لدى بعض الباحثين في استخدام هذين المفهومين، والنظر إلى القيم على أنها ما هي إلا أحد الجوانب لمفهوم أشمل هو الدافعية، فمثلا اعتبر الدافع للانجاز بمثابة قيمة لدى "Macklilend" ويؤكد "ولسون" من خلال نتائج دراسته أنّ هناك ارتباطا مرتفعا بين الدافع للأمن وقيمة الأمن لقوم ما (زكرياء عبد العزيز محمد: 2002، ص 32 )

ويرى "Bendjestone" أنه عندما تؤثر القيم في سلوك الفرد وتؤدي به إلى اختيار بديل دون آخر فهي تعتبر دافعا، كما يتعامل "Faither" مع القيم على أنها مرادفة أو مكافئة للدوافع فهو يعرف القيم بأنها: بناء مترابط يتضمّن الوجدان والموقف الحالي الذي يوجد فيه الفرد، وأنها تتكوّن ممّا يراه الفرد حسنا أو سيئا إيجابيا أو سلبيا وفي ضوء ذلك يتّضح أنّ هناك فرقا بين مفهوم القيم ومفهوم الدافع، فالدافع هو حالة توتر أو استعداد داخلي يساهم في توجيه السلوك نحو غاية أو هدف معين أمّا القيمة فهي عبارة عن التصور القائم خلف هذا الدافع (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص 37).

كما تتسم القيمة بسمة الوجوب فيقول الشخص أريد أن أقوم بهذا الشيء، ويزيد من فهمنا للفرق بين القيمة والدافع هو أنّ القيم ليست كالدافع أو البواعث مجرد ضغوط تعمل على توجيه السلوك في اتجاه معين، بل تعني القيم نظاما من الضغوط تعمل لتوجيه السلوك، ومن الأفكار والتصورات لتأويل هذا السلوك بإعطائه معنى وتبرير معين (مصطفى الباهي : 1995-1996، ص 13)

**ج- القيمة والاتجاه :**

إنّ تناول القيمة بالدراسة دون تحديد علاقتها بالاتجاهات تناول منقوص ومبتور، إنّ القيمة لها معنى معرفي وآخر سلوكي والمظهر السلوكي يظهر عند ترجمة القيمة إلى سلوك يسلكه الفرد في مختلف جوانب حياته، أمّا الجانب المعرفي فيتعلّمه الفرد من خلال مواقف تعليمية، وبعد تكوين عديد من الاتجاهات نحو أشياء ومواقف معينة فالقيمة تعتمد على مجموعة

الاتجاهات وذلك بوضع الارتباط بين القيم والاتجاهات (نور هان منير حسن فهمي: 1999، ص 99)

ويمكن أن نفرق بين القيم والاتجاه من حيث:

- تعبّر القيمة عن معتقد وجد، أمّا الاتجاه يشير إلى تنظيم لعدد من المعتقدات حول موضوع.
- القيمة تتسامى عن الموضوعات والمواقف، في حين أنّ الاتجاه مرتبط بموقف محدد.
- القيم هي مستوى بينما الاتجاه ليست مستويات.
- تتعدّد قيم الفرد بمدى ما اكتسبه من معتقدات حول أنماط السلوك المفضلة وما كوّنّه من اتجاهات حصرها حول المواقف، أو الموضوعات ومن ثمّ يقل عدد القيم نسبياً ويزداد عدد الاتجاهات.

- القيمة تحتل مكانة مركزية أكثر من الاتجاهات داخل التكوين الشخصي والنسق المعرفي للأفراد ومن ثمّ هي محدّدات للاتجاهات.

- القيم مفهوم أكثر ديناميكية من الاتجاهات (مصطفى الباهي : 1995-1996 ، ص 14) إنّ الاتجاهات أكثر قابلية للتغير من القيم ويرجع ذلك إلى درجة التباين النسبي للقيم التي تشكّلها وتدعمها الثقافة أو الإطار الحضاري بصورة قوية. إنّ العلاقة بين القيم والاتجاهات ليست متسقة، فقد تتضمن قيمة معينة ذات اتجاهات متعارضة، فقيمة الإنجاز على سبيل المثال قد تعني اعتقاد الفرد العمل من خلال التنافس أو العمل من خلال التعاون مع الآخرين (زكرياء عبد العزيز محمد: 2002، ص 35).

د- القيمة والاهتمام:

ويرى "بيري" أنّ القيم لها جوانب اهتمام داخل المجتمع فالشيء موضع الاهتمام لدى الإنسان أو الجماعة، هو الشيء الذي يكون له قيمة لدى هذا الإنسان أو تلك الجماعة (نبيل محمد

توفيق السمالوطي: 1985، ص 213)

ويفرّق البعض بين القيمة والاهتمام على أساس أنّ الاهتمام هو أحد المظاهر العديدة للقيمة، ويساعد في توجيه الفعل وتحقيق الذات وأنّ مفهوم الاهتمام أضيق من القيمة، فهو لا

يتضمّن ضرباً من ضروب السلوك المثالية أو غاية من الغايات، كما أنه من الصعب القول بأنّ الاهتمام معيار له صفة الوجوب، التي تتميز بها القيم عن غيرها من مظاهر الشخصية مثل الميول، ومن الضروري أن ننظر إلى القيم على أساس أنّها لا تعكس مجرد حاجاتنا واهتماماتنا الخاصة ولكنها تعكس أيضاً ما يثيب ويعاقب عليه المجتمع (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص 39).

ويمكن تلخيص أوجه الاختلاف بين المفهومين بما يلي:

- الاهتمام يعتبر مظهر من المظاهر العديدة للقيمة، فظهور اهتمامات معينة لدى الفرد إنّما يكشف عن بزوغ قيم معينة ترتبط بهذه الاهتمامات.

- الاهتمام مفهوم أضيق من القيمة، ويرتبط الأول بالتفضيلات المهنية التي لا تستلزم الوجوب والالتزام في حين ترتبط القيمة بضرب من ضروب السلوك المثالي، أو غاية من الغايات وتستلزم الوجوب (زكرياء عبد العزيز محمد: 2002، ص 33).

ه- القيمة والسمة:

ويصف "Jilford" بناء الشخصية على سبع فئات من السمات هي الاتجاهات والميول، والمزاج، والحاجات، والاستعدادات، وبناء الجسم، ويبدو من التصنيف أنّ الاتجاهات والقيم تعدّ فئة من سمات الشخصية الأساسية ويتحدّث المعالجون السلوكيون عن آثار العلاج السلوكي على العادات والحاجات، والقيم والسلوك والاتجاهات فإنهم نادراً ما يتحدثون عن آثار هذا العلاج على السمات، فالقيمة هي أكثر تحديد أو نوعية من السمة وتشمل عادة على جانب إيجابي وآخر سلبي، بينما السمات ليست كذلك، كما تتسم القيم بإمكانية تغييرها (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص 40).

يعتبر مفهوم السمة من المفاهيم الجوهرية في بناء نسق الشخصية الاجتماعية، إذ تعدّ من خصائص السلوك الاجتماعي ولو قارناها بمفهوم القيمة نقول فالقيمة أكثر تحديداً أو نوعية من السمة، وتشمل عادة على الجانب الإيجابي والآخر السلبي بينما السمات ليست كذلك، كما

تتسم القيم بإمكانية تغييرها عكس السمات التي هي أكثر ثباتا نسبيا) زكرياء عبد العزيز محمد: (2002، ص34)

### ي-القيمة والسلوك :

فالسلك محصلة للتفاعل بين اتجاهين أحدهما نحو الموضوع والثاني نحو الموقف فالفعل أو السلوك لا يتحدّد فقط بواسطة الاتجاه أو القيم ،وحاول بعض الباحثين التعامل مع القيم من خلال كلّ من الاتجاهات والسلوك معا،على أساس أنّ الاتجاهات والسلوك أو الفعل هي محصلة نهائية لتوجيهات القيم،وتستخدم القيم كمحك للحكم وتقييم سلوك الإنسان في المواقف المختلفة وهي تحدّد له أنماط السلوك المقبولة وغير المقبولة اجتماعيا،فهي بمثابة معيار للاختيار والتفضيل بين أنماط السلوك المختلفة ومدى مناسبتها لمواقف الحياة المختلفة (نور هان منير حسن فهمي:1999، ص97 )

ويرى "Mouris" من خلال دراسته لثلاثة عشر أسلوبا لمعايشة الحياة أنّ التوجهات القيمة تنتظم في ضوء خمس عوامل هي :الاستمتاع بالعمل ،الانتقاء الذاتي ، تقبل أفكار الآخرين و آرائهم ، الاستمتاع بالحياة.

ويرى "Alder" أنّ القيم يمكن تصوّرها على أنّها تعني أحد المعاني الآتية:

- أنّها أشياء مطلقة لها هويتها المستقلة.

- أنّها متضمّنة في الموضوعات أو الأشياء المادية أو غير المادية

- أنّها مفاهيم تظهر من خلال حاجات الفرد البيولوجية وأفكاره التي يتبنّاها .

- أنّها تساوي أو تكافئ الفعل أو السلوك. (عبد الطيف محمد خليفة:1992، ص47 ) .

### و- القيمة والمعايير:

تستخدم المعايير بطريقة غير استاتيكية تعني القواعد والمستويات للسلوك العادي ،أو قيم ومواقف الحياة كما يجب أن تكون ،وهي توضع بمعرفة المجتمع ،وهي قواعد للسلوك وعناصر أساسية لتحديد الأدوار الاجتماعية لأنها تضع التوقعات والمجال الذي يمارس فيه الفرد دوره،وهي تعكس قيم المجتمع الأساسية(مصطفى الباهي : 1995-1996، ص14 )



فالقيم تتضمن تفضيلات الإنسانية فهي الأساليب المفضلة لتوعية الناس نحو فئات محدّدة للخبرة الإنسانية، بينما المعايير تتضمن تصوّرات إنسانية من الواجبات والالتزامات وهي قواعد السلوك في مواقف معينة، وباختصار فإنّ القيم تحدّد التفضيلات الاجتماعية، بينما المعايير تعيّن القواعد والالتزامات الاجتماعية، ويمكن تحديد الفرق بين القيم والمعايير فيما يلي:

- المعايير تشير إلى نمط سلوكي فقط بينما القيم تشير إلى نمط سلوك منظم.
- المعيار خارجي بالنسبة للفرد بينما القيم شخصية وداخلية .
- المعايير تحدّد القواعد والالتزامات الاجتماعية، بينما القيم تحدّد التفضيلات الاجتماعية.
- المعايير هي قواعد خصوصية للسلوك بينما القيم مستويات عمومية للتفضيل (نور هان منير حسن فهمي: 1999، ص 41 )

#### ك- القيمة والمعتقد:

تتقسم المعتقدات إلى ثلاثة أنواع: وضعية وهي التي توصف بالصحة أو الزيف، وتقييمية التي يوصف على أساسها موضوع الاعتقاد بالحسن أو القبح وأمرة ونهاية، حيث يحكم الفرد بمقتضاها على بعض الوسائل أو الغايات بجدارة الرغبة أو عدم الجدارة . ويرى "روكيش" أنّ القيمة معتقد من النوع الثالث الأمر أو الناهي ويعرّفها: "بأنّها معتقد ثابت نسبيا ويحمل في محتواه تفضيلا شخصيا أو اجتماعيا لغاية من غايات الوجود، أو شكل من أشكال السلوك الموصولة إلى هذه الغاية" فالقيم من منظوره تحتوي على ثلاث عناصر مثلها مثل المعتقدات فهي معرفية من حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة ووجدانية من حيث شعور الفرد حيالها إيجابيا أو سلبيا، وهي سلوكية من حيث وقوفها كمتغيّر وسيطا أو كمعيار مرشد للسلوك (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص 41).

وفي مقابل ذلك يفرّق بعضهم بين القيم والمعتقدات على أساس أنّ القيم تشير إلى حسن مقابل سيئ، أمّا المعتقدات فتشير إلى الحقيقة مقابل الزيف فالمعارف في القيم تتميز عن باقي المعارف الأخرى بالخاصية التقييمية حيث يختار الشخص في ضوء تقييمه ما هو مفضل أو

غير مفضل بالنسبة له، كما أنّها مرادفة للمعتقدات أو الأهداف، ولكنّها تدور حول المعتقدات أو الأهداف، التي يتبنّاها الفرد ويمكن تصوّرها في ضوء يوصف بالمقبول أو المرفوض (مصطفى الباهي : 1995-1996، ص 13)

ثانياً: مصادر القيم وطرق اكتسابها وتغييره ا

1- مصادر القيم :

لقد ظلّت قضية أصل القيم و مصدرها مثارة نقاش الفلاسفة و العلماء على حدّ سواء ، و هو ما جعلهم يذهبون إلى منح أربعة و هي :

**المنحى الأول:**

و هو رأي الاتجاه الفردي الذين يربطون القيم بالإنسان ، و ينسبون أصلها إلى الطبيعة البشرية ، و بالذات إلى التكوين النفسي للفرد و ما ركب فيه من عدد قليل أو كثير من الغرائز و الدوافع و الميول، فالفرد هو الذي يعطي القيم للأشياء و الأفعال ، و التقويم عندهم عملية نفسية باطنية تخلع القيم على الأفعال و الأشياء الخارجية، و من أنصار هذا الرأي البراجماتيين و الوجوديين و أصحاب مدرسة التحليل النفسي (عادل غزال: 2007-2008، ص38).

و هذا يعني أنّ هذه الفلسفة للقيم تفترض أنّ القيمة تعتمد على الاختيار الحرّ و الرغبة الذاتية للأفراد و هنا ينتفي معنى الالتزام ، فلا معيار و لا قيمة إلّا بما تحكم به الرغبة و يبعث عليه وجدان اللذة و الألم ، و هذا من شأنه أن يلقي بالقيم فريسة للتغيير، فتفقد المسؤولية معناها ، و يحتجب المثل الأعلى وراء ضباب كثيف من تذبذب الرغبات و الميول، فهناك اعتقاد للكثيرين في أنّهم هم الذين خلقوا القيم ممّا أدّى و يؤدّي إلى التّدافع و النزاع الذي تعيشه البشرية .

**المنحى الثاني:**

وهو رأي أصحاب الاتجاه الجماعي الذي يقول بأنّ مصدر القيم هو المجتمع ، و يردّ أصحابه القيم إلى العقل الجمعي ، فالمجتمع في نظرهم هو أصل القيم و مصدر

الإلزام، فالتقويم عند أصحاب هذا الرأي إذن عملية اجتماعية خارجة عن ذوات الأفراد ، و صادرة عن المجتمع تلخ القيم عن الأفعال و الأشياء الخارجية بمقتضى العقل الجمعي و الإرادة الجمعية التي تلو على الأفراد و ذواتهم، و من أنصار هذا الرأي " Durkheim ، و Marks" مع الاختلاف المعروف بينهما، و هذه الفلسفة للقيم تفترض أنّ القيمة ناشئة عن الحتمية الاجتماعية أو الحتمية الاقتصادية و يعطيها المبرر الذي يجعلها متعالية عن الأفراد (مراد زعيبي: 2004، ص 186 - 187).

### المنحى الثالث:

و هناك من ردّ مصادر القيم إلى الأشياء و الأفعال في ذاتها، فالقيمة عند أصحاب هذا المنحى « تستغني عن التقويم الإنساني لأنّ لها الوجود بدونه ، إنّها خاصة في الأشياء تثير رغبتها فيها بفضل طبيعتها» ( الربيع ميمون : 1980 ، ص 119).

فأصل القيم عند أصحاب هذا الرأي إذن يعود إلى طبيعة الأشياء و الأفعال ذاتها و الإنسان يكتشف هذه القيم و يهتدي إليها بعقله نظرا لجاذبيتها و قدرتها على التأثير في رغباته، و هذا يعني أنّ هذه الفلسفة للقيم تفترض أنّ القيمة لها وجود مستقل عن أيّ شيء خارج عنها، فهي تتمتع بالاستقلال التام الذي يتّصف به الشيء أو الفعل المتّصف بها و من أنصار هذا الرأي "Aresto، و Loy Mainar والمعتزلة.

### المنحى الرابع:

هذا الرأي يرجع القيم في مصدرها إلى قوّة خارجية عن الإنسان و المجتمع ، فالقيم تلو فوق الإنسان و قدراته ، و أن الأشياء لا تقوم بذاتها و لا تخلق نفسها بل الله خالقها و مقومها، فهو الذي يعطي قيمة الأشياء و الأفعال، إنّ القيم لا بدّ أن تكون عامة و ثابتة و مطلقة و كلية، بحيث تنطبق على جميع الناس دون استثناء و لا تخضع لإرادتهم و أهوائهم الفردية و الجماعية على السواء ، و هذا لا يمكن أن يتمّ إلا إذا سلّمنا بوجود الله الخالق (مراد زعيبي: 2004، ص 188).

و في هذا الصدد يقول " ديكارت descartes ": « فإله الصادق هو الذي يمنح للحقيقة معناها ، و يجعل البحث عنها مشروعاً ، فإننا على الرغم مما نتكبد فيه من متاعب ، لأنه مشروع يقربنا منه، و يغنيننا و يثري وجودنا، و لهذا فإننا إذا أنكرنا وجوده تملكنا اليأس و صار يظهر لنا أنّ التوهم يسود ميادين الحياة كلّها » ( الربيع ميمون : 1980 ، ص 93).

إنّ التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني:

- أ- تميّز هذه القيم بالقداسة و الهيبة، ممّا جعل احترام هذه القيم أمراً نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية لله و نية صادقة لكسب رضاه.
- ب- أن يصبح للالتزام الأخلاقي و المسؤولية معنى.
- ج- أن يتوفّر للقيم سند حقيقي.
- د- الإبقاء على إرادة الإنسان و حرّيته في اختيار القيم التي يرتضيها.
- ه- توفّر شروط الاستقرار و الثبات في المجتمع.
- ي- بقاء ذلك الحافز المتجدّد على العمل و الاستقامة في ذات الوقت.
- و- توفّر الميزان الثابت و العادل للحكم على الأشياء و الأفعال ( مراد زعيبي : 2004 ، ص 190 )

## 2- طرق اكتساب القيم:

يرى "ريشر Richer" أنّ اكتساب الفرد لقيمة يمرّ بمراحل مختلفة حيث تبني الفرد لقيمة معينة، ثم إعادة توزيع هذه القيمة وإعطائها وزناً معيناً، ثم يلي ذلك اتساع مجال عملها داخل البناء العام للقيم ثم ارتفاع معايير هذه القيمة في ظلّ وجود هذه الأهداف المعينة وما تحقّقه من فائدة لمتبنيها، وأمّا اختفاء القيمة أو التخلّي عنها فيأخذ أشكالاً معاكسة لذلك تماماً ويتفق ذلك مع ما يراه "روكيش" من أنّه مع امتداد عمر الفرد يزداد عدد القيم التي يتبناها، وبالتالي يتغير شكل زمالات أو تجمّعات انساق القيم لديه، فالقيمة التي يتعلمها الفرد يحدث لها نوع من التداخل، والانتظام في بناء نسق القيم (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص 72 )

ويمكن تحديد طرق اكتساب القيم في العناصر التالية:

## أ- الأسرة :

إنّ عناصر الإطار الثقافي من قيم و عادات و أنماط السلوك و غيرها يتناقلها الآباء عن الأجداد، ثم تنتقل إلى الأحفاد أو تنتقل عناصر الإطار الثقافي من الكبار إلى الصغار من خلال عملية التنشئة، و هي ما يعرف بعملية التطبيع الاجتماعي، حيث يتم بموجبها اكتساب و تعلّم الصغار الطباع و العادات و نماذج السلوك و المعايير و أساليب الحياة و القيم الاجتماعية والآراء، و الأفكار السائدة في المجتمع حيث يمكن إعدادهم للحياة (مصطفى الباهي: 1995-1996، ص 20).

فالأسرة تقوم بإعداد النشء و تقوم بنقل التراث من جيل إلى جيل من أجل تكوين شخصية المواطن و تربيته جسميا و عقليا و روحيا، و هي تقوم بترسيب في أعماق الصغار ما تريد ترسيبه من معتقدات و قيم، و منه يمكن التأكيد على دور الأسرة كوسيط هام و أساسي بين الثقافة و الفرد من خلاله يتحقّق غرس القيم أو تغييرها في نفوس الأبناء (زكرياء عبد العزيز محمد: 2002، ص 40).

و عندما نتكلّم عن الأسرة فإننا نقصد الأم و الأب و أفراد الأسرة المحيطين بالطفل ، حيث أنّ دور الأب و الأم هما دوران متكاملان و لهما الدور الأساسي في عملية التطبيع الاجتماعي، فهما يوليان اهتمام بإشباع حاجيات الأولاد البيولوجية و التخفيف من حدّة التوتر، و حمايتهم ممّا يهدّد حياتهم من أخطار ، و إبعادهم عن مسببات الألم ، و تلقينهم عادات السلوك المختلفة متأثرين في ذلك بالإطار الثقافي الذي تعيش فيه الأسرة ، و قد يكون هو ذاته الإطار الثقافي الذي يسود المجتمع ، أمّا في المجتمعات الكبيرة و المعقّدة و هي تتميز بتعدّد أشكال العلاقات الاجتماعية ، و هذا كلّهُ يؤدي إلى تكون داخل المجتمعات الكبيرة نوع من الخلط الثقافي ، بمعنى أنّ الإطار الثقافي للأسرة قد يكون متحرّرا عن الإطار الثقافي للمجتمع، و من ثمّ تختلف نماذج التربية و أنماط السلوك و القيم الاجتماعية و المعايير مع بعضها و ينعكس أثر ذلك على الأطفال حيث يتعلم أطفال الأسر المختلفة نماذج مختلفة من السلوك ، و بالتالي يواجه الأولاد متاعب كبيرة نتيجة تعدّد الثقافات داخل المجتمع الكبير، و

في هذا الصدد يقول الباحث " واطسن watson": « لقد درست مئات عديدة من الأطفال فخرجت من دراستي الطويلة بهذه النتيجة و هي أنّ بإمكاننا أن نكون شخصية الطفل أو نحطّمها قبل بلوغه سنّ الخامسة ، و في معتقدي أنّنا عند نهاية الثانية من عمره نكون قد رسمنا الأسس لشخصيته المستقبلية ». (مصطفى الباهي: 1995-1996، ص 23).

واتفق كل من " ستروديبك Strzwdibeck" و"وينر Winner" و"وايتنج witting" على أنّ للأسرة دورا مهما باعتبارها وسيطا حيويا وأساسيا بين الثقافة والفرد من خلاله يتحقّق غرس القيم في نفوس الأبناء، والأسرة كمؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي وإنّما يحكمها إطار ثقافي تنتمي إليه، فهي تقدّم لأبنائها نماذج لحياة الأسرة سواء كانت أبوية أو غير ذلك وتحدّد الأدوار المناسبة للذكور والإناث، السلوك الجنسي، علاقات الوالدين والطفل، فهي تعمل كآليات للضبط الاجتماعي والدعم الاجتماعي لأبنائها، فالأسرة تكسب أفرادها قيما معينة ثمّ تقوم الجماعات الأخرى التي ينظم إليها الفرد خلال حياته الاجتماعية في مراحل عمره المختلفة، بدور مكملّ لدور الأسرة .

إنّ استحواد الأسرة على عملية التّطبيع الاجتماعي للطفل، بحيث تؤثر تأثيرا بالغا على شخصيته لا يستمر طويلا ، و لا تبقى الأسرة هي الفاعل الوحيد في هذه العملية ففي سنّ معينة يلتحق الطفل بالمدرسة و هنا يواجه مواقف اجتماعية مغايرة كليّة لموقف الأسرة، إنّه سيواجه بيئة أوسع مدى و أكثر تعقيدا من الأسرة ، و هو سيواجه أيضا معايير و أنماط سلوكية و قيم و أنظمة جديدة لا عهد له بها، كذلك سيحتك بأفراد آخرين غير الذين تعودّ عليهم في محيط الأسرة، و هذا يبيّن ما للمرحلة القادمة من خطورة من حيث تتميم ما قد تعلّمه الطفل أو تصحيحه ثم البناء عليه للحصول على شخصية مسؤولة مرتقبة (نورهان منير حسن فهمي: 1999، ص 112).

ب- اللغة و التعليم:

- اللغة:

تعتبر اللغة من بين العوامل المساعدة على اكتساب القيم ، و ذلك باعتبار أنّ اللغة هي الحامل للقيم التي تسود المجتمع ، و أنّ عملية التعلّم تتمّ بواسطتها ، و من جهة أخرى فاللغة تسهّل عملية التواصل و التبليغ بين أفراد المجتمع ، و من المؤكّد أنّ عملية الاتصال في ميدان التنظيم و الإدارة تعتبر أساسية لحسن سير العمل ، و لرفع مستوى فعالية الاتصال في التنظيم، و تأتي أهمية اللغة من حيث أنها تعكس شخصية الفرد و ثقافة مجتمعة و أنها تساعد على تعديل الشخصية و الثقافة ، ذلك أنّ الاختلال اللغوي يؤدّي إلى الاختلاف في إدراك و تنظيم الواقع (مصطفى الباهي: 1995- 1996 ، ص 23).

و تعتبر اللغة أيّ لغة ظاهرة اجتماعية تنعكس عليها ، و كذلك من خلالها كلّ الظواهر التي تسود المجتمع من رفعة و انحطاط و من تقدّم أو تأخّر و من نهوض أو سقوط ، فإنّ اللغة تنهض بنهوض المجتمع و تطوره و تسقط بسقوط المجتمع و تأخّره ( تركي رابح : 1987 ، ص 255 ) .

#### - التعليم:

إنّ العلاقة بين القيم و التربية علاقة جدلية ، فالتربية تسعى إلى غرس القيم في الأطفال ، أمّا القيم فتؤثّر في التربية باعتبارها أحكاما و معايير و ضوابط و أطر حياة توجه العملية التربوية و بدون التربية يصعب غرس القيم ، و تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة (حنان تومي: 2009، ص 360)

يساهم التّعليم بصورة كبيرة في نشر قدر من الوعي لدى الأجيال المتلاحقة لأجل بناء مجتمع قويّ و متماسك ، و تبقى الأمية من المشاكل التي تعاني منها دول العالم و تعدّ عائقا من عوائق التقدّم الاقتصادي و في هذا يقول " محمد إقبال " : « إنّ التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء» إنّ هذا الحامض أشدّ قوّة و تأثيرا من أيّ مادة كيميائية فهو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة من تراب. (تركي رابح : 1987 ، ص 214).

إنّ التعليم يطلع بدور هام لجعل عملية التعلم تتم بشكل متناغم و متناسق بين القوّة العاملة و التقنيات المستخدمة في الإنتاج ، فكما أنّ القوّة العاملة المؤهلة و المدربة لا يمكن أن تستخدم تقنيات مختلفة في الإنتاج ، كذلك القوّة العاملة المتخلّفة فنيًا و مهنيًا ، لا يمكن أن تدير و تسيّر الإنتاج باستخدام تقنيات متطوّرة جدًّا ، خصوصًا في عصر ثورة المعلومات و تكنولوجيا الاتصال و الإعلام ، و من المنطقي أن يواكب هذا التحوّل و التطوّر في المفاهيم و الموازين تطوّرًا موازيا له في التعليم، و يلعب التعليم هنا دورا هاما و خطيرا في عملية ترسيخ القيم الإيجابية في الإنسان حتى يصبح الإنسان المتعلّم المثقف المؤهل مهنيًا ، المحترم للقانون المنضبط في الوقت ، المقدّر للعمل ، و المتفاني في خدمة وطنه (مصطفى الباهي: 1995-1996، ص 25).

و يعتبر مستوى التعليم متغيّرًا حاسما و ذا أهمية ، فهناك فجوة في القيم بين المرتفعين و المنخفضين في مستوى التعليم ، أمّا من ناحية نوع المدرسة فتوجد فروق طفيفة حسب نوع المدرسة ، فطلّاب الكليات العملية أكثر ميلا لقبول القيم الأخلاقية عن طلاب الكليات النظرية، و ربّما يرجع ذلك إلى الطبيعة النقدية و التأمّلية و الفلسفية لما يدرسونه من موضوعات، و كذلك تتأثر القيم بالتفوق الدّراسي بالنسبة للفرد ، كما أنّ هناك فروقا بين الذكور و الإناث في الأبعاد و العوامل التي يننظم حولها نسق القيم (نورهان منير حسن فهمي : 1999 ، ص 112).

ج - السّياسة و الإعلام:

- السّياسة:

يقول "عبد الحفيظ مقدم" عند الحديث عن الثقافة السّياسية لمجتمع معيّن، فإنّنا نشير إلى النظام السّياسي الذي أدمجه الفرد في فكره و مشاعره و قيمه ، و الثقافة السّياسية تتكوّن من نظام المعتقدات و القيم التي تحدّد الوضعية التي يأخذ الفعل السّياسي صفته و طريقة تعامل و تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، هذه القيم تعتبر السّياسة في فهم جذور الصّراع ضمن النخبة و القيادة السّياسية، إنّ النمط السّياسي و ما يبرزه من قيم و سلوكيات تنعكس على



إدارة المؤسسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حيث أنّ نمط الإدارة و طرق تسييرها في المؤسسات الاقتصادية يعتبر صورة مصغرة لنمط الإدارة السياسية حيث نلاحظ تلك الانعكاسات في تركيز السلطة في يد شخص واحد ، في حين أننا نجد أنّ هذا الشخص يتهرّب من المسؤوليات بالقدر الذي يسمح له التحرك فيه حيث أنّ أغلب المسيّرين الإداريين كانوا يمثلون مجردّ منفذين للقوانين و الأوامر . و بذلك فإنّ المديرين في المؤسسات لم تكن لهم حريّة التصرف و الأخذ بزمام المبادرة غير أنّهم كانوا يتهرّبون من المسؤوليات فيما يسمح لهم به خوفا من تعديّ الحدود التي كانوا لا يعرفون أين تبدأ وأين تنتهي ، وأمام مثل هذه المواقف كان العمال في المؤسسة يحسّون بنوع من انعدام الثقة في المسيّرين وأنّ القائمين لا يمكنهم فعل أيّ شيء ممّا يدفعهم إلى اتخاذ مواقف سلبية فهذه التصرفات تأتي كانتقام من نمط و سلوكات سياسية وإدارية في التسيير . (مصطفى الباهي: 1995- 1996 صص 25-26).

#### - الإعلام:

تشير كلّ الإحصائيات المختلفة أنّ الأفراد أصبحوا محصورين من كلّ جهة بوسائل الإعلام والاتصال التي احتلت مكانة أساسية في عصرنا الحالي، وبات من غير الممكن الاستغناء عنها نظرا للأهمية المتزايدة التي تحتلها ، والفوائد الكبيرة التي تتضمنها ، فضلا عن ارتباطها بكلّ الأعمال اليومية للأفراد والجماعات بشكل جعلهم يعتمدون عليها في الكثير من الأمور (نصرا لدين بوزيان: 2009 ، ص 117)

تلعب وسائل الإعلام التي يحتكّ بها أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم أطفالا و شبابا دورا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية و في خلق الوعي الاجتماعي، وهذه الوسائل متعدّدة و متنوّعة ، و تشمل الإذاعة و التلفزيون و السينما و الصّحف و المجلات و التسجيلات المختلفة، و تلعب وسائل الإعلام دورا حيويا في تنشئة أفراد المجتمع و تكوين شخصيتهم و تزويدهم بالخبرة و المعرفة ، و يتوقّف تأثير كلّ وسيلة من هذه الوسائل على مدى فعاليتها و نوعية مضمونها و محتواها من جهة ، و جميع الوسائل تشترك في هدف و هو توصيل

رسالة أو فكرة أو معلومة إما مسموعة أو مرئية أو مقروءة، و قد أدرك القائمون على التنشئة الاجتماعية أنّ الطفل و الشباب و حتى الكبار منهم أنّ لوسائل الإعلام أهمية في بناء الشخصية. (مصطفى الباهي : 1995-1996، ص 28 )

هذا وتؤكد الدراسات الأميركية المختصة بهذا الجانب أنّ متوسط عدد الساعات لمشاهدة الأسرة يوميا للتلفزيون هو ست ساعات يوميا، و من المتوقع أن تزيد هذه النسبة مع الانتشار السريع لأجهزة الفيديو و الأجهزة الأخرى في المنازل و النوادي و المقاهي ، وهذا يعني مزيدا من وقت الأسرة و أفرادها لحساب استعمال هذه الأجهزة و على حساب وقت الراحة أو الدراسة أو العمل و الإنتاج ، وفي هذا الصدد يؤكد الفيلسوف الألماني " ألبرت أشفيتسر **albert achvitsner**" في كتابه "فلسفة الحضارة" « أنه لم يتحقق شيء ذو قيمة في هذه الدنيا إلا بالحماس و التضحية ، وأنه لا سبيل لإقناع الناس بحقيقة الحياة و بالقيم الصادرة بالأخلاق إلاّ بنشأة العقلية الإيجابية الخلاقة التي تحوي هذه المعتقدات كمحصلة لصلة روحية باطنه بالعالم، وأنه عندئذ تصبح هذه المعتقدات قويّة و واضحة و راسخة و تكيف كل أفكار الإنسان و أفعاله » ، فإنّ القيم و الأسس التي تقوم عليها فلسفة الإعلام إذا غابت عن عقل رجل الإعلام أو أصبحت باهتة و غامضة فإنّ محصلة عمله تصبح التخبط و التشتت ، و بهذا فالمجتمع بحاجة إلى فلسفة إعلام واضحة و معبرة عن واقعه و عقيدته و آماله ( محمد سيد محمد : 1983 ، ص 208 )

أمّا موريس يضع ثلاثة فئات أساسية تحدّد اكتساب القيم وهي:

-الفئة الأولى :المحدّدات البيئية أو الاجتماعية ،حيث يمكن تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد في ضوء اختلاف المؤثرات البيئية والاجتماعية.

-الفئة الثانية :المحدّدات السيكلوجية ،وتتضمن العديد من الجوانب كسمات الشخصية ودورها في تحديد التوجّهات القيمية للأفراد.

-الفئة الثالثة :المحدّدات البيولوجية ،وتشمل الملامح أو الصفات الجسمية ،والتغيرات في هذه الملامح وما يصاحبها من تغيرات في القيم وذلك كما هو موضح في الشكل التالي:

### 3-أساليب تغيير القيم:

سوف نعرض طرق وأساليب تغيير القيم وكذلك النظريات التي اهتمت بتغيير القيم ومن أهم النظريات التي اهتمت بعملية التغيير نجد:

#### أ-نظرية التنافر المعرفي:

ومفاد هذه النظرية التي ارتبطت باسم " هستنجر Hishenger" وترتكز حول مصدرين أساسيين لعدم اتساق بين الاتجاه والسلوك:

-آثار ما بعد اتخاذ القرار

-آثار السلوك المضاد للاتجاه

أي أنّ الفرد يعمل في عمل معين ويعطيه قيمة على الرغم من أنه لا يرضى عنه، في الحقيقة فهو يعطيه قيمة وأهمية لأنه يريد الحصول على الكسب المادي وهنا ينشأ عدم الاتساق بين القيم والسلوك وتوصف عدم الاتساق بأنها حالات من التنافر المعرفي ، والسبيل للتقليل من هذه الحالات هو القيام بعمليات تغيير قيم الفرد واتجاهاته ،فالجندي الذي يحارب ضدّ العدو وإذا لم يكن لديه اتجاه واقتناع بان الحرب تمثل قيمة تبرئ لأهداف أخرى فإنه يقع في حالة من التنافر المعرفي بين الوضع الذي يوجد فيه ويلزمه بالدفاع وقيمه واتجاهاته السلبية نحو موضوع الحرب ، وتفرض هذه النظرية أنّ هناك ضغوطا على الفرد نحو الاتساق بين اتجاهاته وقيمه وسلوكه،وبوجه عام أدّى عدد من خصائص النظريات المعرفية

إلى إضعاف قدرتها على التعامل على نطاق واسع مع تغيير الاتجاه، ومن هذه الخصائص غموض بعض المفاهيم والاقتصاد على أساليب مقننة إجرائيا للتحقق منها وإهمالا لفروق بين الأفراد في القدرة على تحمّل التنافر وتفضيل الحجج التي تؤدي إلى إنقاصه وتقدير الاتساق فما هو متسق لدى فرد غير متسق لدى آخر، وكذلك إهمال العوامل الدافعية والضغوط البيئية (مصطفى الباهي : 1995-1996 ، ص29).

ب- نظرية الفعل المتعلّل أو المبرر عقليا:

قدم "فيشبان" Fishppen و"أجزين" Adjzen نموذجا في الخطوات التالية :

- يمكن التنبؤ بسلوك الشخص من خلال النية أو المقصد

- يمكن التنبؤ بالمقاصد السلوكية من خلال متغيرين رئيسيين هما:

\* اتجاه الشخص نحو السلوك الإيجابي أو السلبي.

\* إدراك الشخص لاتجاه الآخرين نحو هذا السلوك.

- يمكن التنبؤ بالاتجاه نحو السلوك من خلال استخدام إطار توقع القيمة، فالاتجاهات تتشكل

وفق لكل من النتائج المتوقعة من السلوك (عبد الطيف محمد خليفة: 1992 ، ص 187-

( 188

وقد لخص "فيشبان" و"أجزين" هذا النموذج في المعادلة التالية:

السلوك (النسبة لأدائه) = مجموع معتقدات الفرد عن احتمال أن يؤدي القيام بهذا السلوك

على مراتب معينة (تقييمه لهذه المتر تبات ) + مجموع إدراكه لتوقعات الجماعة

المرجعية (دافعيته لإكمال أداء السلوك)، فأداء الفرد لسلوك معين أو عدم أدائه يرتبط بمعتقداته

الشخصية عن مراتب القيام بهذا السلوك ومعتقداته عن نظرة الآخرين وتوقعهم لهذا الأداء

وكذلك دافعية الفرد لإكمال هذا الأداء (مصطفى الباهي : 1995-1996 ، ص30)

ج- النظرية السلوكية:

حيث أوضح "Makini" أنّ برامج تغيير القيم يجب أن تركز على كلّ من التدعيم والتوجيه

السلوكي الأمر والنهي، وتتأثر عملية الاقتداء بعدد من العوامل منها خصائص القدوة

كالجنس والسّن ومستوى التعليم والسّمات الشخصية وكذلك النتائج المترتبة على سلوك النموذج أو القدرة ودافعية الفرد والتعليمات المثيرة لهذه الدافعية في مواقف التدريب أو تغيير اتجاهات وقيم الفرد (عبد الطيف محمد خليفة: 1992 ، ص 189 )

هناك من الباحثين من يؤكّد على الجانب السلوكي في تغيير القيم حيث يؤكّد هؤلاء على ما لسلوك من قدرة على التأثير على تغيير القيم وفي هذا الصّدّد نجد كل من "Pandor" و"Rolts" اللذان تحدّثا عن إحداث تغييرات في مجال القيم والاتجاهات من خلال مشاهدة النماذج الاجتماعية ، وتشير نتائج البحوث التي تمّت في مجال نظرية التعلم الاجتماعي إلى أنّ ظواهر التعلّم التي تنتج عن الخبرات المباشرة تتمّ في ضوء العلم بالعبارة ، أي من خلال مشاهدة سلوك شخص آخر وما يترتّب على هذا السلوك .

#### د- النظرية المعرفية السلوكية:

هذه النظرية حاولت الجمع بين الجانب المعرفي والجانب السلوكي حيث يرجع دعاة هذه النظرية سلوك الفرد على ما وراءه من معتقدات وتصوّرات عن ذاته إلى تنظيم لجميع معارفه السّلبية والإيجابية وتنظيم هذه المعارف في مجال عام هو نسق المعتقدات ، ويرتقي هذا النسق عبر العمر نتيجة عدة عوامل كعمليات التنشئة الاجتماعية والخبرات الشخصية التي يتعرّض لها الفرد، ويقوم هذا النسق بعدد من الوظائف بالنسبة للفرد في إصدار الأحكام وإقامة الحجج والتبريرات والمواقف وتصوّر الفرد لذاته وللآخرين ، ودفاع عن الأنا وتحقيق الذات وهذا ما ذهب إليه "Mackdojel" (مصطفى الباهي : 1995-1996 ، ص 31)

كما يرى "روكيش" أنّ المعتقدات والاتجاهات والقيم جميعها تنتظم في إطار نسق عام هو نسق المعتقدات الشامل والذي يتسم بالتفاعل والارتباط الوظيفي بين عناصره وأجزائه، ويعطي " روكيش" بهذا الشكل أهمية كبيرة لنسق المعتقدات عن قيم الفرد، فنسق المعتقدات على حدّ تعبيره يسير إلى تصورات الفرد وتعرّفه عن ذاته وينفق مع وجهة نظر " ميد M.Meed" و"Rojers" في تناولهما لمفهوم الذات والذي يمتد ليشمل كلاً من المعارف والشّعور واللاشعور بالصورة الجسمية والقدرات العقلية والنواحي الأخلاقية والوضع

الاقتصادي والاجتماعي للفرد والهوية والقومية الدينية والعنصرية والعرقية (عبد الطيف محمد خليفة: 1992، ص ص 191-192 )

ثالثا: المنظور السوسيولوجي للقيم

إن أصحاب المنظور السوسيولوجي - بحكم منهجهم العلمي- مضطرون إلى دراسة القيم كما تبدو في مجتمع بشري يرتبط بمكان معين و زمن محدّد و يخضع لظروف بعينها ، و بالتالي فإنّ القيم تتطور في نظرهم بتطور المجتمع الذي توجد فيه فهي بذلك تكون قطاعا نسبية متغيرة .

إنّ القيم تعتبر عضوا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي ، و يرى علماء الاجتماع أنّ القيم من صنع المجتمع، و أنّها تعبير عن الواقع ، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع و يحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحلّها و يفسّرها و يقارن بين الجماعات المختلفة، لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية القيم كأحد المحاور الرئيسية التي أنشغل بدراستها العديد من الباحثين الاجتماعيين بحيث تجسّد ذلك في كتابات الكثير من علماء الاجتماع المحدثين و المعاصرين إيمانا منهم بأنّه توجد علاقة وظيفية بين القيم و سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى السائدة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع، و بالرغم من وحدة المنظور لدى هؤلاء العلماء في معالجتهم للقيم إلاّ أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها و أسباب تغييرها، لذلك ظهرت على مسرح الفكر الاجتماعي عدّة اتجاهات فرعية تنضوي تحت لواء المنظور السوسيولوجي ، محاولة تفسير القيم من حيث نشأتها و مصدرها و اكتسابها ، و علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى (عادل غزال: 2007-2008 ، ص 49 )

ويمكن عرض هذه الاتجاهات كالتالي:

أ- الاتجاه الماركسي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ القيم حقائق واقعية توجد في إطار اجتماعي و اقتصادي فهي ترتبط بحياتنا العملية ارتباطا وثيقا و ينطلق مفكروا هذا الاتجاه في تفسيرهم للحياة الاجتماعية من منطلق مؤداه: أنّ التاريخ تتحكم في مسيرته قوانين موضوعية لا تخضع

لإرادة الأفراد و الجماعات ، كما يعدّ البناء الاقتصادي للمجتمع هو المصدر الرئيسي للقيم لأنها تتشكل و تتطوّر بتطوّر النسق الاقتصادي، و ذلك لوجود رابطة وطيدة بين البناء التحتي ، و البناء الفوقي، فالبناء التحتي يؤدي حتما لحدوث تغيرات في البناء الفوقي، و بالتالي في القيم باعتبارها إحدى مكوناته، كما يؤول البناء الفوقي بدوره إلى حدوث تأثيرات في علاقات الإنتاج سواء كان هذا التأثير إيجابيا فيسرع بتغيير البناء الاقتصادي أو العكس (حميد خروف و آخرون : 1999 ، ص109 )

فمنذ قرن تقريبا اعتقد " كارل ماركس K.Marx " أنّ التغيّرات في إنتاج التكنولوجيا مع تغيراتها الملازمة في مجال العلاقات الطبقيّة تحدّد التغيرات في العناصر الأخرى للمجتمع ، و يؤكّد ماركس أنّ التغير الاجتماعي يبدأ بصراع جماعات المصلحة بالرغم من أنّ قوة الصفوة الحالية تقاوم التغير بمفهومه القيمي و الناس يقبلون مبدأ التغيير عندما يصبحوا واعين بأنّ مصالحهم الخاصة استغلت من بناء النظام الاجتماعي نفسه، و يذهب ماركس إلى أنّ كلّ القيم النظامية ما هي إلاّ قيم الطبقة الحاكمة (محمد أحمد بيومي: 2002، ص135). كما كشف هذا الاتجاه عن حقيقة مهمة مؤداها أنّ القيم نسبية ، ذات طبيعة دينامية ، متطوّرة و متغيرة بتغير الأوضاع الاقتصادية ، و مختلفة باختلاف المراحل التطورية التي يمرّ بها المجتمع ، كما أنّها تتباين بتباين الوضع و الظروف المادية للطبقات المكونة للبناء الطبقي للمجتمع، لذا فالقيم الإنسانية المطلقة لا يمكن أن توجد في مجتمع يتسم بالصراع بين الطبقات لكنها سوف توجد قطعا حينما تزول الملكية و يزول معها استغلال الإنسان للإنسان و هذا لا يكون إلاّ بتحقيق الشيوعية تحقيا كاملا، و خلاصة القول... أنّ القيم لدى أصحاب هذا الاتجاه ترتبط بأشياء واقعية لها وجود ملموس خارج ذواتنا ، و بالتالي فهي صفات للموضوعات المادية و ظواهر الشّعور الاجتماعي (حميد خروف و آخرون:1999،ص109).

و ما يلاحظ على هذا الاتجاه أنّه ركز بصورة كبيرة على المادية الاقتصادية و ذلك عن طريق تأكيد أنّ نسق القيم كمتغير مستقل في التغير الاجتماعي و ركّز على أنّ القيم و

الأفكار و الدين ما هم إلا انعكاسات لوضع الطبقة أو أنّ المصالح الطبقيّة لا يمكن أن تفهم بعيدا عن مفهوم الطبقة للدين و الإيديولوجيا و نسقها القيمي ..

### ب- الاتجاه الوظيفي:

هذا الاتجاه يوجه مصدر القيم إلى بناء علوي ومفاهيم عينية ، ووظيفة القيم تبدوا مثلا معيارية على المجتمع أن يحققها، وبذلك تكون القيم من منطلق هذا الاتجاه مطلقة ومصدرها هذا البناء العلوي بالرغم من أنّ مصدر القيم يمكن إرجاعه إلى الدين وثقافة المجتمع (نورهان منير حسن فهمي: 1999، ص124)

يستند هذا الاتجاه إلى التصرّو العضوي للمجتمع هادفا للكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق تكامل النسق ككل لاستمراره أو للإضرار بهذه الاستمرارية، غير أنّ تكامل الأجزاء لا يتم دائما على نحو مثالي ممّا يدعو إلى تكيف هذه الأجزاء مع المؤشرات الداخلية و الخارجية ، وضرورة توفير أساليب الضبط لإعادة التوازن، و يرى " Durkheim من هذا المنطلق أنّ الإنسان الذي ينتمي إلى مجتمع ما لا يدرك ذاته و لا الآخرين إلا بتوسّط التصوّرات المشتركة التي ترجع في كيانه جانب الوجدان الجمعي، و ليست القيم إلا تعبيراً عن رغبات الأفراد في إرضاء المجتمع الذي ينتمون إليه، ويذهب "دوركايم" كذلك إلى القول بأنّ القيم موجودة ووجودا خارجيا عند الشخص الذي يصدر أحكام القيمة ، فهي تتّصف بصفة مستقلة عن كيفية الإحساس بها في لحظة الحكم ، و هي تطابق نوعا من الحقائق الموضوعية و الموجودة خارج الذات و لقد رفض " دوركايم" الرأى القائل بوجود القيمة في الموضوع ذاته مستدلاً بعدم وجود أيّ تناسب بين خصائص الأشياء من جهة و بين قيمتها من جهة أخرى مؤكّدا أنّ جميع القيم تقديرا للأشياء، إنّ القيم الموجودة في المجتمع في نظر "دوركايم" تعبر عن نماذج مختلفة و هي تتباين حسب تقسيم العمل و النشاط المستمر لكل فرد غير مؤثرة في المجتمع بقدر مماثل فتأثير بعضها في الحياة الاجتماعية أقوى من تأثير البعض الآخر و ذلك بحسب نوع النشاط السائد في المجتمع الذي ترتبط به القيمة، و يبدو في نظر "دوركايم" أنّ مصدر القيم التي يدين بها الفرد و التي تتجسد في



سلوكاته ترتدّ إلى المجتمع الذي يعيش فيه، بحيث يستمد الفرد أحكامه القيمية حول ما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه اجتماعيا من ثقافة المجتمع ، فالتغيرات التي تحدث في بناء المجتمع هي المسؤولة عن تغيير القيم و التقاليد و العادات الجماعية و ذلك وفقا للحاجات و المطالب المتغيرة (حميد خروف و آخرون: 1999، ص113).

و لكن يعاب على "دوركايم" أنه لم يكن مهتمًا بالتغيير أو بصراع القيم، كذلك لم يبذل أي محاولة منظمة لتمييز و تصنيف محتويات نسق القيمة أو العقل الجمعي ، كذلك لم يذهب في تحليله لمعرفة الدوافع المشكلة للالتزام بالقيم و الامتثال للمعايير، بالإضافة إلى ذلك لم يتناول المشاكل السيكلوجية و « المعنى» و لعلّ هذه النقطة هي التي انطلق منها " ماكس فيبر" التي تعتبر محور مساهماته ( محمد أحمد محمد بيومي : 2002 ، ص76 )

أمّا "ماكس فيبر M. Weber" فإنّ نظريته السوسيلوجية تتجلى في أنّ السلوك الذي تفرضه القيم هو سلوك يصدر أصلا لتحقيق قيمة اجتماعية معينة بالذات، ذلك أنه حينما يسلك الفاعل الاجتماعي سلوكا وفقا لقيمة ما أو طبقا لمثل أعلى، إنّما تفرض عليه هذه القيمة أنّ يوجه نمط سلوكه وفقا لها ( حميد خروف و آخرون : 1999 ، ص119).

إنّ أصحاب هذا الاتجاه يعتبرون القيم ظاهرة اجتماعية ذات تأثير تبادلي بينها و بين بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى المتفاعلة ضمن إطار البناء الاجتماعي ، و بالتالي فالقيم تعدّ إحدى المتغيرات و المحددات الدافعة لسلوك الأفراد و الموجهة للفعل الاجتماعي، و تبدو هذه القيم حاسمة و واضحة في تحديد الفعل أثناء مواقف الفاعلين ، و من ثمّ فالقيم ليست تصوّرات صماء بل تتكون نتيجة التفاعل بين الأفراد داخل المجتمع ، كما أنّها تتسم بالتغير النسبي نتيجة تطوّر المجتمع، و ما يلاحظ على هذا الاتجاه أنه يضع القيم خارج الفرد بالرغم من أنه هو حامل هذه القيم و باعتباره أيضا طرفا في عملية التأثير و التآثر، كما أنّ هذا الاتجاه أيضا نظر إلى القيمة على أساس أنّها مطلقة، كما أنّ هذا الاتجاه أيضا لم يولي أهمية لصراع القيم (عادل غزال: 2006-2007، ص52)

ج- الاتجاه التاريخي:

إن الأخذ بالمبدأ السوسيولوجي الذي مفاده : أن تحليل الظاهرة الاجتماعية و معرفة أسباب حدوثها يستلزم الرجوع إلى تاريخها و الإطار الذي نشأت فيه، ذلك أنها لا تصدر من العدم، و إنما يؤكد لها الوجود التاريخي ، و على هذا الأساس يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيمة هي قيمة الإنسان الذي ينتمي إلى ثقافة و قيمة السلوك حين يتطابق مع الإدارة و التاريخ، و في هذا الإطار يعدّ كارل " منهايم K.Manhaim " الممثل الحقيقي للنزعة التاريخية في دراسة الظواهر، و تحليل طبيعة القيم، إذا انتقد "Menhaim" التفسير الماركسي ، و كذا فكرة العقل الجمعي لدى "دوركايم" في تفسير طبيعة الظواهر الاجتماعية حيث يدعو إلى الرجوع إلى منطق المواقف السوسيو تاريخية في تفسير طبيعة كل قيمة أو ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمع، أمّا " ماكس شيللر M.Sheller " فإنه ينطلق أيضا في تحليله لطبيعة القيم من منطق السّياق السوسيو تاريخي، إذ يرى أنه لا يمكن فصل القيم عن مواقف الحياة فهي تصاحب كلّ عمل و تتحقّق في كل فعل ، و بالتالي فهي تصدر عن بنية الواقع التاريخي، لذلك يؤكّد " شيللر Sheller " على مبدأ موضوعية القيم ، حيث يرى أن الوعي بقيمة الأشياء و وجودها الواقعي من جهة ، و بين عالم الذات ، و ظروفها الاجتماعية من جهة أخرى و أنّ القيم ليست صورا إستاتيكية ثابتة على نحو ما زعم "Kant" و غيره من الفلاسفة المثاليين ( حميد خروف و آخرون : 1999 ، ص ص 122-123).

و ما يلاحظ أنّ أصحاب الاتجاه التاريخي حاولوا إبراز خاصية القيم على أنها موضوعية و هو ما يتنافى مع ما جاء به "ماكس فيبر M.Weber" حيث دافع فيبر عن وجود علم اجتماع متحرّر من أحكام القيمة فقد كان مفهومه « التحرّر من القيمة » عبارة عن محاولة لإيجاد قاعدة موضوعية لعلم الاجتماع بصفة خاصة ، و العلوم الاجتماعية عامة فبالنسبة "لفيبر Weber" فإنّ علم الاجتماع كعلم يتناول فقط ما هو واقع، و يبدو أنّ مفهوم "فيبر Weber" عن علم اجتماع متحرّر من القيمة لم يفهم أو يفسّر كما ينبغي ، فمفهوم فيبر عن التحرّر من القيمة أعتبر أسطورة أكثر من هذا فقد انتقد "فيبر Weber" على أنه الأساس

الجزري للنسبة القيمية و إلغاء القيم من الدراسات السوسولوجية ، فاستبعاد فيبر لأحكام القيمة من العلوم الاجتماعية لا يعني أنه ليس لهذه العلوم علاقة بدراسة القيم (محمد أحمد بيومي : 2002 ، ص 126).

إن أصحاب الاتجاه التاريخي في تفسيرهم للقيم قد كشفوا عن حقيقة هامة مفادها أن القيم و الأفكار نتاج لمواقف تاريخية يواجهها الإنسان كفاعل أخلاقي و أن هذه القيم تمثل حقائق تاريخية تتجسد ضمن إطار البناء الاجتماعي و الثقافي للمجتمع كما أنها تتباين بتباين مراحل تطور المجتمع ، و بالتالي فهي ترتبط بالسياق السوسيو تاريخي الذي تنشأ ضمنه ، على اعتبار أن الإنسان هو ذلك الكائن الحي الأخلاقي الوحيد الذي يتصف دون غيره من الكائنات الأخرى بخاصية التفكير و العمل على توازن فاعليته بما يحقق أتساقه مع الآخرين و مع الكون (حميد خروف و آخرون : 1999 ، ص 124).

#### د- الاتجاه الثقافي:

يؤكد أصحاب هذا الاتجاه على الإطار الاجتماعي للقيم ، و ذلك بالنظر إلى نمط السلوك و الثقافة ، و هذا من خلال أن العوامل الاجتماعية و الثقافية لها تأثير واضح في اكتساب القيم، و في هذا الصدد يؤكد "saniel" على أن الثقافة هي عملية تحقيق القيم، هذا و يركز أصحاب هذا الاتجاه على البعد الثقافي للقيم ، باعتبار هذه الأخيرة كمنتج ثقافي و قد ذهب أحد الباحثين إلى القول بأن "سوروكين Sorokin" قد أحدث ثورة في علم الاجتماع ، و ذلك عن طريق جعل القيم محورا لدراسته و يشرح " سوروكين Sorokin" ذلك بقوله أن القيم كامنة في قاعدة كل النظم الاجتماعية و الاتجاهات و لذلك فإن علم الاجتماع يجب أن تكون مهمته الأساسية هي دراسة القيم، إن فهمنا للقيم أو نسق « المعاني- المعايير- القيم » يقوم على أساس فهمنا للثقافة و علم الاجتماع يجب أن يهتم بالقيم الثقافية على أنها محدّدات في أيّ تحليل للحياة الاجتماعية (محمد أحمد بيومي : 2002 ، ص 91).

و يركّز "سوروكين Sorokin" في نظريته السوسيولوجية على التفاعل الثقافي الاجتماعي كوحدة ينبغي أن تحلّل إليها الظواهر الاجتماعية، ذلك أنّ التفاعل ينطوي على ثلاث مكونات مترابطة ترابطاً وثيقاً و هي:

- الشخصية باعتبارها موضوع التفاعل.
- المجتمع باعتباره مجموع الشخصيات المتفاعلة.
- الثقافة باعتبارها مجموع المعاني و القيم و المعايير الموجودة لدى الشخصيات المتفاعلة ، وباعتبارها كذلك مجموع الوسائل التي تنشئ هذه المعاني و تجعلها اجتماعية (حميد خروف : 1998 ، ص 154) .

و يرى "سوروكين Sorokin" أنه خلال التجربة الإنسانية أو الممارسة المستمرة للأنشطة فإنّ بعض القيم التي كانت مبدئية فيما سبق تبدأ في فقدان قيمتها وتتطور قيم جديدة ذلك بالقدر الذي تسمح به مسلمات القيمة و إمكانيات النسق الثقافي، وقد تستمر بعض القيم التقليدية في البقاء خاصة إذا ما طرأ عليها نوع من التعديل أو التحديث ( محمد أحمد بيومي : 2002 ، ص 93 )

هذا و تؤكد الدراسات الحقلية و الشواهد الميدانية التي قام بها كلٌّ من "ميد M.MEED" ، "ورث بنديكت R.BENDEKT" انطلاقاً من هذا التصور على أنّ مقومات القيم إنّما تستند أصلاً إلى مقومات ثقافية ، كما تعتمد على أنماط أو طرق تربوية متميزة ، فالنمط التربوي المستبد يولد قيم العدوان والصراع ، أمّا النمط التربوي الهادئ يؤدي إلى تحقيق قيم الوداعة و الطاعة، والخلاصة أنّ التحليل الذي قدّمه أصحاب الاتجاه الثقافي يكشف عن النظرة السوسيولوجية المتمثلة في التركيز على البعد الثقافي في تفسير طبيعة القيم واكتسابها وتغيّرها ، حيث كشف هذا الاتجاه عن حقيقة هامة مؤداها أنّ القيم عنصر ثقافي لها طابع نسبي وهي تتكوّن نتيجة التفاعل الاجتماعي ، وتستمدّ أصولها من الظروف المجتمعية ، إذ تعدّ من مكونات البناء الاجتماعي و ثقافته ، أي أنها منتجات ثقافية تنتج من الواقع الاجتماعي ، مؤثرة في تكوين شخصية الفرد و مجسّدة في أشياء مرغوب فيها أو أهداف

منشودة أو توازن يسعى إلى تحقيقه ، فالقيم حسب هذا الاتجاه ليست أمور مطلقة وإنما تتغير بتغير البناء الثقافي للمجتمع (حميد خروف وآخرون : 1999 ، ص 126) .

وبالرغم من أن ثقافة العولمة تعترف باختلاف المظاهر الاجتماعية والدينية والأخلاقية والثقافية والفكرية ، وبتنوع الاعتقادات الإيديولوجية والتطلعات الوطنية والاختلافات القبلية ، فإنها تقحم كل ذلك داخل اللعبة الإستراتيجية نفسها في نطاق تسجيل ضرورة العولمة وتوحيد معالم ثقافتها ، وتكسير الثقافات الوطنية وهيمنة نمط معين اختير لكي يوحد الذوق ويكسر الإبداعات المختلفة والبديلة (عبد الوهاب المسيري: 2003 ، ص 251) .

### خلاصة الفصل :

يظهر من خلال ما جاء في هذا الفصل ، أنه توجد صعوبة تواجه أي باحث للإحاطة بموضوع القيم من كل جوانبه ، باعتباره موضوع واسع لأنه يشترك ويتداخل مع مجموعة مختلفة من المفاهيم الأخرى التي لها علاقة به ، وكذلك تعدد وجهات النظر من جهة أخرى . ودراستنا النظرية حاولت إبراز هذه الصورة ، وكذلك ما هو موجود من اختلاف بين علماء الاجتماع في كيفية تناولهم لهذا الموضوع .

ونظرا لاختلاف مفهوم القيم الاجتماعية فإنه يصعب الحكم على مدى تأثيرها بما تبثه برامج فضائيات الأطفال من قيم قد تتوافق مع القيم الحضارية الموروثة من طرف الطفل وقد تتناقض أو تختلف وتصطدم بما اكتسبه الطفل من بيئته ، وكذلك كون القيم نسبية وليست مطلقة فهي تختلف من فرد لآخر تبعا لظروف المكان والزمان والجغرافيا والثقافة . ويمكن القول أن القيم يتم تعلمها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأ أسرة والمدرسة والمسجد وسائل الإعلام ، ومنه فإن غالبية الأطفال تعرضوا لعملية تعلم القيم ، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: "إن النظام القيم السائد في كل مجتمع والقائم في كل بيت وعند كل شخص هو المحرك لسلوك الإنسان ومتى اضطربت أولويات هذا النظام واختلفت مع أولويات المجتمع وتعمقت الهوة بينهما يصبح الوقوع في السلوك المريض أو في المرض الاجتماعي أمرا محتملا" (السعيد بومعيزة: 2005-2006 ، ص 168) .

